

التاريخ السياسى
لقلعة رباح ودورها فى حوادث
الصراع بين المسلمين والنصارى

دكتور

حمدى عبد المنعم محمد حسين
أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١١
١٢
١٣

١٤
١٥
١٦
١٧

يتناول موضوع البحث دراسة للتاريخ السياسى لقلعة رباح (بالأسبانية calatrava)^(١) ودورها فى حوادث الصراع بين المسلمين والنصارى فى الأندلس. والواقع أن الذى دفعنى إلى اختيار هذا الموضوع هو أحساسى بأهمية الدور الذى لعبته هذه القلعة على مسرح الأحداث السياسية فى الأندلس لاسيما خلال عصرى المرابطين والموحدين، إذ كانت محورا للصراع بين القوى الإسلامية والقوى الصليبية من جهة فضلا عن قلة ما كتب فى هذا الموضوع الأمر الذى شجعتنى على اختياره والبحث فيه عسائى ان اتوصل الى حقائق جديدة تلقى الضوء على جانب من أهم جوانب الصراع بين المسلمين والنصارى وهو الحروب الصليبية فى الأندلس.

(١) التاريخ السياسى لقلعة رباح من الفتح الإسلامى الى نهاية العصر الأموى.

تقع قلعة رباح على ضفة وادى آنة شمال مدينة قرطبة. (Cordoba) وجنوب مدينة طليطلة (Toledo)^(٢) وهى مسماة على الأغلب باسم التابعى

(١) قلعة رباح Calatrava هى التى يقوم فى مكانها الآن حصن يعرف باسم قلعة رباح القديمة Castillo de Calatrava la Vieja إذ أن هناك إلى جوارها مدينة أخرى تعرف باسم قلعة رباح الجديدة la nueva وكانت قلعة رباح تتبع فى العصر الإسلامى مدينة جيان إلا أنها تتبع الآن المدينة المستحدثة المعروفة باسم المدينة الملكية Ciudad real فى إقليم لامانشا La Mancha وقلعة رباح القديمة تبعد اليوم عن هذه المدينة باثنى عشر كم إلى الشمال منها. راجع:

The Encyclopedia of islam, vol, 11, Holland 1927, p. 846 - 847.

(٢) الأدريسى (الشرىف ابو عبد الله محمد بن عيد العزيز): صفة المغرب وارض السودان ومصر والأندلس. مأخوذ من كتاب نزمة المشتاق فى اختراق الأفاق، تحقيق دنى غوية ودوزى، لندن ١٨٦٤م، ص ١٨٦، ١٨٧ ابن غالب (الحافظ محمد بن ايوب الأندلسى): قطعة من كتاب "فرحة الألفس فى تاريخ الأندلس"==

على بن رباح اللخمي^(١) الذي اشترك في فتح الأندلس. وكانت قلعة رباح من أهم المراكز الحربية التي تتوجه منها الحملات العسكرية الأموية الى مدينة طليطلة، وقد جاء ذكرها لأول مره في المصادر التاريخية الأندلسية في حوادث عام ٢١٩هـ (٨٣٤م) عندما أرسل الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) جيشا بقيادة أخيه أميره بن الحكم صوب مدينة طليطلة^(٢) فحاصرها، وقطع أشجارها وأهلك زروعها ولكن أهلها لم يذعنوا للطاعة، فاضطر أمية بن الحكم الى رفع الحصار عنها وأبقى بقلعة رباح بعض قواته بقيادة ميسرة الفتى للاستمرار في مضايقة أهل طليطلة،

== تحقيق د. لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات، جامعة الدول العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، نوفمبر ١٩٥٥م، ص ٢٨٩، الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجى، الروض المعطار فى خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٠ ص ٤٦٩.

(١) عن على بن رباح اللخمي ودوره فى فتوحات الأندلس وكيف ارسله موسى بن نصير مع مغيث الرومى الى دمشق لابلاغ الخليفة الوليد بن عبد الملك أخبار الفتوحات. راجع المقرئ (احمد بن محمد التلمسانى). نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد فى عشرة أجزاء، الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٤٩م، ج ١، ص ٢٦٠ ج ٤، ص ٧، مؤنس (د. حسين)، فجر الأندلس، دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامى الى قيام الدولة الأموية، الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٥٩م، ص ٨٩، ٩٩

(٢) كانت مدينة طليطلة قد عادت للثورة فى عهد الامير عبد الرحمن بن الحكم فى عام ٢١٤هـ (٨٢٩م) اندلعت الثورة بها وتزعماها هاشم الملقب بالضراب، فسير اليه الأمير عبد الرحمن الأوسط جيشا بقيادة محمد بن رستم عامله على الثغر الأندلسى، الا أن محمد بن رستم فشل فى إخماد ثورة الضراب، بل إمتد نفوذه حتى هدد الثغر الأندلسى كله. مما اغضب الامير عبد الرحمن وكتب إلى محمد بن رستم يعنفه ويتهمه بالتقصير فى محاربة الضراب. وفى عام ٢١٦هـ (٨٣١). جهز عبد الرحمن جيشا كبيرا أمد به محمد بن رستم، وأمره بالزحف الى هاشم الضراب وإخضاعه، والتقى ابن رستم بهاشم الضراب وبعد =

مما دفع سكانها إلى الخروج من مدينتهم ومهاجمة قلعة رباح، فلما علم ميسرة الفتى الصقلبي بتحركاتهم أعد لهم الكمانن، فلما أقتربوا من قلعة رباح خرجت عليهم الكمانن من كل جانب، فأوقع بهم، وقتل عددا كبيرا من رجالهم فلما رأى ميسرة الفتى الصقلبي رؤوس القتلى إرتاع وداخله الندم ولم يلبث إلا قليلا حتى مات ندما وأسفا^(١) وفى العام التالى (٢٢٠ هـ/٨٢٥م) خرج الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) من قرطبة غازيا، فيم وجهه أولا صوب مدينة طليطلة،

===معارك عنيفة إستمرت عدة أيام دارت فيها الدائرة على هاشم الضراب الذى سقط صريعا هو وكثير ممن كانوا يشايعونه. ومع ذلك واصلت طليطلة ثورتها، فأرسل إليهم الأمير عبد الرحمن الأوسط هذا الجيش بقيادة أخيه أمية بن الحكم.
راجع:

ابن الاثير (ابو الحسن على بن أحمد بن أبى الكرم) : الكامل فى التاريخ، طبعة القاهرة، ١٣٥٣هـ، ج ٥، ص ٢١٩، ابن عذارى المراكشى (ابو عبد الله محمد): البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب، الجزء الاول والثانى والثالث، تحقيق كولان وليفى بروفنسال، الجزء الرابع خاص بتاريخ المرابطين، نشر وتحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٧ والقسم الخاص بالموحدين، تحقيق محمد ابراهيم الكتانى، ومحمد بن تاويت، ومحمد بن تاويت ومحمد بن زنيبر، وعبد القادر زمامة، الطبعة الاولى، الدار البيضاء ١٩٨٥م ، ج ٢، ص ٨٣، عنان(أ. محمد عبد الله): دولة الاسلام فى الاندلس، فى جزئين، القاهرة ١٩٦٠، ق ١، ص ٢٥٨

(١) ابن الاثير، المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٣٢، ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٤، النويرى (احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكرى التميمى القرشى): نهاية الارب فى فنون الادب، الجزء الثانى والعشرين، نشر جاسبار راميرو، غرناطة ١٩١٦ - ١٩١٧م، ص ١٩٨، ١٩٩، عنان، المرجع السابق، ق ٢، ص ٢٥٨، ٢٥٩، سالم (د. السيد عبد العزيز) تاريخ المسلمين وأثارهم فى الاندلس الطبعة الاولى، بيروت ١٩٦٢ ص ٢٣٠، ٢٣١.

Levi Provencal : Histoire de l'Espagne Musulmane, 3 vols, Leiden 1950 - 1954, vol 1, p. 201

وولى أبا الشماخ اليماني^(١) قلعة رباح خلفا لمسيرة الفتى الصقلبي وأبقى معه جيشا للتضييق على أهل طليطلة، بينما سار عبد الرحمن بن الحكم الى مدينة ماردة لاختضاعها^(٢) وفى عام ٢٢١هـ (٨٢٦م) خرج جماعة من أهل طليطلة يتزعمهم

(١) ابو الشماخ اليماني كان زعيم اليمانية فى مدينة تدمير، وفى أوائل عصر الامير عبد الرحمن الاوسط نشبت فتنة فى تدمير بين اليمانية والمضرية، وكان سبب هذه الفتنة ان أحد المضريين المقيمين بتدمير انتزع ورقة دالية من جنات يمانى، فقتله اليمانى، فقامت الحرب بين العصبيتين المضرية واليمانية، وقتل كثير من الفريقين، فبعث الأمير عبد الرحمن اليهم حملة بقيادة يحيى بن عبد الله وعينه واليا على تدمير فالتقى معهم فى موقعة تعرف بموقعة المصاراة بلورقة قتل منهم نحو ثلاثة آلاف ولكنه لم يفلح فى اخضاع الولاية الثائرة، واستمرت الفتنة على اشدها، وغلب على تدمير أبو الشماخ زعيم اليمانية. وفى سنة ٢٠٩هـ (٨٢٥م) ارسل الأمير عبد الرحمن قائده امية بن معاوية بن هشام الى تدمير واشتبك مع اليمانية بقيادة ابى الشماخ فقتل على عدد كبير منهم، ولكن ابو الشماخ لبث بضعة أعوام يتحدى سلطة الحكومة المركزية فى قرطبة، والبعوث تتردد اليه فى كل عام دون أن تنال منه منالا، ولم تهدأ الفتنة إلا فى سنة ٢١٣هـ (٨٢٨م) حيث خضع ابو الشماخ وغيره من الزعماء، وطلبوا الأمان، وعادوا الى الطاعة، ومن المرجح أن الامير عبد الرحمن بن الحكم قد استعان بابى الشماخ ليكسب وده فعينه واليا على قلعة رباح.

راجع : ابن القوطية (ابو بكر محمد بن عمر القرطبي): تاريخ إفتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧م، ص ٦٧ ، ٦٨ عنان دولة الاسلام، ق ١ ، ص ٢٥٥، سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٢١،

Levi provenca, Histoire, vol, 1,p. 198 - 199.

(٢) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج ٥ ، ص ٢٢٧ ، ابن عذارى، البيان المغرب ج ٢ ، ص ٨٤ ، النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٢ ص ١٩٩ ، عنان دولة الاسلام، ق ١ ، ص ٢٥٩ ، سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٢١ ،

Levi provenca, Histoire, vol, 1,p. 201.

مهاجر بن القتييل^(١) الى قلعة رباح، وأنضموا الى جيش الأمير عبد الرحمن بن الحكم واتفقوا جميعا على حصار طليطلة فضيقوا على أهلها، واستمر حصارها لها الى العام التالي (٢٢٢/هـ - ٨٣٧م)، فسير اليهم الأمير عبد الرحمن بن الحكم جيشا بقيادة أخيه الوليد بن الحكم، فرأى الوليد أهلها وقد بلغ بهم الجهد والأعياء كل مبلغ، وأشتد عليهم الحصار وضعفوا من القتال، ففتحها الوليد بن الحكم عنوة يوم السبت الثامن من رجب سنة ٢٢٢ هجرية (الخامس عشر من يونيو سنة ٨٣٧م)^(٢).

ظلت قلعة رباح على ولائها لسلطة الاماره الاموية، الى عام ٢٣٩ هجرية (٨٥٣م) ففي هذا العام سير الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ هـ - ٢٧٤/هـ - ٨٥٢م) جيشا بقيادة أخيه الحكم بن عبد الرحمن الى قلعة رباح وكان أهل طليطلة قد خربوا أسوارها، فأعاد من فارقها من أهلها اليها وأصلح أحوالها وترك بها حامية

(١) عقب فشل ثورة الربض التي أندلعت في قرطبة عام ٢٠٢ هـ (٨١٨م) خرجت طائفة كبيرة من أهل قرطبة الى مدينة طليطلة واستقروا بها. وقد اشار ابن سعيد المغربي الى هذه الطائفة التي لحقت بطليطلة وذكر أنهم كاتبوا مهاجر بن القتييل الذي كان قد لحق بدار الحرب وولوه عليهم. ومن المرجح أن مهاجر بن القتييل قد عاد الى طاعة الحكومة المركزية في قرطبة ولاسيما بعد اصدار العقو عن جميع من اشترك في ثورة الربض، بدليل انضمامه الى جيش الامارة الاموية الذي كلف باخماد ثورة طليطلة.

راجع: ابن سعيد المغربي (ابو الحسن علي ابن موسى): المغرب في حلي المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، في جزئين. دار المعارف، القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٥، ج ١، ص ٤٢؛ Levi Provencal, Histoire, vo, 1, p. 169.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٢٤٥، ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٤، ٨٥، النويري، نهاية الاربض، ج ٢٢، ص ١٩٨ - ١٩٩، عنان، دولة الاسلام، ق ١، ص ٢٥٩، سالم، تاريخ المسلمين، ٢٣١؛

Dozy R. Histoire des Musulmanes d'Espagne,
Leiden, 1932, Vol, 1, P. 250, 251; Levi Provencal
Histoire, Vol, 1, P. 201, 202.

كبيرة للدفاع عنها^(١) وفي عام ٢٤١هـ (٨٥٥م) اضطر الأمير محمد بن عبد الرحمن الى تحصين قلعة رباح وشحنها بالجند وعين عليها حارث بن بزيع^(٢)

(١) ابن حيان (ابو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي): المقتبس من انباء أهل الاندلس، حققه وقدم له وعلق عليه د. محمود علي مكى، بيروت، ١٩٧٣، ص ٢٩٢، ٢٩٤، ابن الأثير الكامل فى التاريخ، ج ٥، ص ٢٩٢، ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٤، عنان، دولة الاسلام، ق ١، ص ٢٩٢، سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٤٥.

R. Dozy, Histoire, Vol; 1, p. 260;

Aguado Bleye: Manual de la Historia de Espana,

T, 1, Madrid, 1947. p. 322,323

Levi provençal, Histoire, Vol, p. 292.

(٢) الحارث بن بزيع كان من كبار قواد الامير عبد الرحمن بن الحكم (الايوسط) وقد تحدث صاحب أخبار مجموعة عن أولية أبية بزيع وصلته بعبد الرحمن بن معاوية (الداخل) فقال أنه لما قام حيوة بن ملامس بالثورة فى اشبيلية وثار معه عبد الغافر اليحصبى ودارت الهزيمة على هذين فى عام ١٥٤هـ (٧٧١م) قام عبد الرحمن بشراء عدد من العبيد ممن حسن بلاؤهم فى المعركة وكان من بينهم بزيع والد الحارث بن بزيع. أما الحارث فقد ظهر أمره أيام الامير عبد الرحمن الاوسط فقد عهد اليه بقيادة الجيش الذى توجه من قرطبة الى الثغر حينما أعلن موسى بن موسى العصيان سنة ٢٢٧هـ (٨٤٢م) فالتقى به فى برجه وظهر الحارث بن بزيع على موسى بن موسى ثم فتح برجه واسر فيها لب بن موسى وحاصر تطيلة بعد ذلك حتى أخرج موسى عنها، ثم انصرف الحارث بن بزيع الى سرقسطة مقر ولايته، وكان يخرج بعد ذلك الى ارنيط المرة بعد المرة لكى يرهق موسى بن موسى، غير أن هذا تمكن أخيرا من تدبير كمين له فى موضع بلمة على نهر ابرة، فأوقع به هناك وأسره، وأقام الحارث أسيرا لديه مدة تسعة أشهر، فغزا الامير عبد الرحمن الاوسط الى بنبلونة فى نفس السنة لكى يقتص من فعل موسى بقائده حارث بن بزيع. وفى السنة التالية (٢٢٨ هـ/٨٤٣م) غزا الامير عبد الرحمن الاوسط موسى غزوة أخرى، فصالحه موسى واطلق سراح الحارث بن بزيع، ثم ولاه على تطيلة وعزله عنها سنة ٢٢٢هـ (٨٤٧م) ثم ولاه الامير محمد بن عبد الرحمن على قلعة رباح راجع: مؤلف مجهول (كتاب أخبار مجموعة فى فتح الاندلس، نشرة دون ==

للتضييق على أهل طليطلة^(١).

وفى العام التالى (٢٤٢هـ/٨٥٦م) بعث الأمير محمد بن عبد الرحمن انه المنذر بالصائفة فاحتل قلعة رباح فى طريقه الى طليطلة التى حاصرها وانتسف ماحولها.^(٢) وينفرد ابن حيان فى سياق تاريخه لحوادث عام ٢٥٩هـ (٨٧٣م) بالاشارة الى تمرد أحد زعماء البربر ويدعى ابن يامين البربرى وامتناعه بجبل البرانس، وأن مسعود بن عبد الله العريف قائد طليطلة^(٣) وامر حارث بن بزيع عامله على قلعة رباح باخماد ثورة ابن يامين البربرى، والقاء القبض عليه وتسلميه للأمير محمد بن عبد الرحمن، فلما جاء الامير محمد الى طليطلة (Talavera) أمر بصلب ابن يامين وأصحابه على

== لاقونتى القنطرة، مدريد، ١٨٦٧م ص ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ابن الاثير الكامل فى التاريخ، ج ٥ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ابن عذارى البيان الغرب، ج ٢ ، ص ٩٥ النويرى، نهاية الارب، ج ٢٢ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١؛

Levi provençal, Histoire, vol 1, p. 208, 216, 257 . 290, 292

- (١) ابن عذارى ، نفسه، ج ٢ ، ص ٩٥، النويرى، نفسه، ج ٢٢ ص ٢٠٦
(٢) ابن حيان المصدر السابق، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ابن عذارى المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٦ ، عنان، دولة الاسلام، ق ١ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، سالم تاريخ المسلمين، ٢٤٥؛

Levi-provençal, Ibid . p. 294

- (٣) طليطلة Talavera مركز من اعمال مدينة طليطلة، وكانت من أقصى ثغور المسلمين وأهمها وتقع فى هضبة تتوسط شبة الجزيرة وتعتبر لذلك بابا من الابواب التى تتوجه منها الجيوش الاسلامية الى ارض قشتالة وجليقية وتطل طليطلة على نهر تاجة Eltajzo وتبعد عن طليطلة بنحو ثمانين كيلو مترا الى غربها مع بعض الاتحراف تجاه الشمال. وقد وصفها الحميرى بقوله: "وهى مدينة كبيرة وقلعتها ارفع القلاع حصنا ومدينتها اشرف البلاد حسنا، وهو بلد واسع الساحة كثير المنافع، به أسواق وديار حسنة، ولها على نهر تاجه ارحاء كثيرة ولها عمل واسع ومزارعها زاكية".

راجع: الحميرى، الروض المعطار، ص ٣٩٥ ، وانظر ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمود على مكى، تعليق رقم ٥٤٣ ص ٦١٤ ، ٦١٥ ، الادريسي صفة=

أسوار مدينة طليطلة^(١). وفي نفس العام سار الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط بجيشه غازيا الى مدينة طليطلة، فنزلها في شهر شعبان (٢٥٩هـ/٨٧٣م) وحاصرها وقتله أهلها قتالا عنيفا، حتى إذا ما أشد عليهم الحصار استأمنوه، فعقد لهم الامان وأخذ رهانتهم وفي نفس الوقت أمر الامير محمد باعادة بناء ما تهدم من قلعة رباح وأعاد اليها ما كان تفرق من أهلها.^(٢)

ظلت قلعة رباح على ولائها للحكومة المركزية في قرطبة حتى اندلعت الثورة في انحاء الاندلس في عصر الامير عبد الله بن عبد الرحمن الاوسط (٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م) ولا سيما ابان ثورة سوار بن حمدون المحاربي القيسي^(٣) في مدينة البيرة^(٤).

=== المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، ١٨٧.

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٣٣٠.

(٢) ابن حيان، المصدر السابق، ص ٣٣٤.

(٣) هو سوار بن حمدون بن عبده بن زهير بن ديسم بن قديره بن هنيده. وهو من بني محارب بن خصفة بن قيس عيلان وكان جده الاعلى قد نزل في قرية قربسانة الواقعة الى الغرب من مدينة غرناطة. عن سوار بن حمدون.

راجع: ابن حزم (ابو محمد على بن احمد بن سعيد): جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٢٥٩، ٢٦٠ ابن الأبار (ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي) الحلة السيرة تحقيق د. حسين مؤنس. الطبعة الاولى، في جزئين، القاهرة ١٩٦٣م ج ١، ص ١٤٧، ابن الخطيب الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، اربعة مجلدات القاهرة ١٩٧٣ - ١٩٧٩م، ج ٤ ص ٢٧٠.

(٤) البيرة Elvira كانت من كبريات حواضر جنوب شرق الاندلس وأصل أسمها ايبيري قديم مركب من Berri - ili أي المدينة الجديدة وبها نزل جند دمشق حينما فتح العرب أسبانيا، وبساحل البيرة كان نزول الامير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) حين عبوره الى الاندلس سنة ١٢٨هـ (٧٥٥م)، ثم خربت البيرة في الفتنة القرطبية وانتقلت عاصمة إقليمها الى غرناطة وأصبحت البيرة تابعة لها.

ولقد عرف سوار بشجاعته وجرأته في الحرب وقدرته على تأليف القلوب، وقد بولغ في اعلاء شأنه والثناء عليه فقيل "لولا أن الله من على العرب بسوار ونصره لما أبقى العجم والمولدون منهم أحد"^(١). وبعد أن ولي سوار رئاسة عرب البيرة خاطب زعماء العرب في الكور المجاورة يدعوهم الى نصرته، فانسوى اليه العديد من البيوتات العربية، وعندما رأى سوار من نفسه القوة توجه بمجموعة لاسترداد حصن منت شاعر الواقع الى الشمال الشرقي من مدينة غرناطة، وكان قد اجتمع فيه من المولدين والنصارى حوالى ستة الاف رجل، فحاصروهم وضيق عليهم الخناق الى ان خرجهم قسرا منه، ثم استمر في تطهير الحصون التابعة للمولدين وحلفائهم النصارى، ولذا حشد المولدون حشودهم ضد العرب، كما نجحوا في تأليب جعد بن عبد الغافر عامل الامارة الاموية على البيرة ضد العرب فيادار باجابتهم الى طلبهم، وخرج على رأس جيش كبير من المولدين وحلفائهم، وقصد بهم سوار وحلفاءه من العرب، فاصطدم الفريقان بعنف، وانتهى الامر بانتصار سوار، أما جعد فقد وقع في الاسر. وقد سميت هذه المعركة "بوقعة جعد" وقد ارتفع نجم سوار بعد انتصاره على المولدين وحلفائهم وكتبه عرب النواحي وامتدت رياسته حتى قلعة رباح التي أعلنت الولاء والخضوع له^(٢) وقد خلف سوار بن حمدون في رئاسة عرب البيرة سعيد بن سليمان بن جودي،

راجع: ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج ١، ص ٩٩ - ١٠٠ الحميرى، الروض المعطار، ص ٢٨، ٢٩.

(١) ابن الأبار، الحلة السیراء، ج ١، ص ١٤٨، ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج ٤، ص ٢٧٠.

(٢) بن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الاندلس، نشرة الأب ملشور انطوانية باريس ١٩٣٧م. ص ٥٥، ٥٦، ٦٢، ابن الأبار، الحلة السیراء ج ١، ص ١٤٨، ١٤٩، ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣٣، ابن الخطيب الاحاطة، ج ٤، ص ٢٧١. Levi Peovencal, Histoire, Vol, 1, P. 354.

وكان من قبيلة هوازن التي تعد احدى القبائل القيسية، وسجل له الامير عبد الله على كورة البيرة بكاملها،^(١) وقد استمر على سياسة سلفه فى التعصب للعرب ومحاربة اعدائهم: "حتى هوت اليه افئدتهم وقصدوه من كل كورة"^(٢) ويشير ابن حيان الى ان أهل قلعة رباح استمروا على ولايتهم لسعيد بن جودى عقب وفاة سوار بن حمدون^(٣) يؤكد ذلك ما رواه ابن حيان فى تاريخه لحوادث عام ٢٩٨هـ (٩١٠م) اذ يشير الى قيام القائد الاموى عباس بن عبد العزيز بغزو قلعة رباح "اذ كان اهلها على خلاف وشقاق فانفتحها"^(٤) وفى عام ٣٠٠هـ (٩١٢م) انترى الفتح بن موسى بن ذى النون^(٥) ومعه

(١) ابن حيان، المصدر السابق، ص ٢٩، ٣٠، ٣١، ١٢٢، ابن الأبار المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٧.

(٢) ابن حيان، المقتبس، نشر مشور انطونية، ص ٢٩.

(٣) ابن حيان، المصدر السابق، ص ٢٩.

(٤) ابن حيان، المصدر السابق، ص ١٤٦.

(٥) ينقشب بنوذى النون الى ذى النون بن سليمان بن طوريل بن الهيثم بن اسماعيل

بن السمح بن ورد بن حيقن الهوراي اى انهم من قبيلة هواره البربرية. وكان

أول من دخل الاندلس منهم هو اسماعيل بن السمح. اما عن ذى النون فقد

كان زعيما لشنت برية (santaver) وقد مر به الامير محمد ابن عبد الرحمن

الاوسط فى بعض غزواته الى الثغر وقد مرض خصى من أكابر فتيانه

الصقالية، فتركه عند ذى النون يقوم برعايته ففعل ذو النون ما أراه من ذلك،

وبالغ فى الاهتمام بالفتى الى أن برأ من علته، ولم يكتف بذلك، بل جاء بنفسه الى

قرطبة بصحبة الفتى فكافاه الامير محمد ابن عبد الرحمن بأن ولاه على ناحيته

وقدمه على قومه وارتهن منه بعض ولده، فأعترف ذو النون بفضل الامير عليه

وشكر نعمته وظل على طاعته الى أن توفى فولى مكانه ابنه موسى بن ذى النون

الذى كان رهينة عند الامير محمد الا انه نبذ الطاعة وأخذ فى توسيع منطقة

نفوذه، فأستولى على طليطلة سنة ٢٧٤هـ (٨٨٨م)، ولكن أهل طليطلة استدعوا

أسرة بنى قسى من الثغر الأعلى الاندلس وفتحوا لهم ابواب مدينتهم سنة ٢٨٣هـ

(٨٩٧م) وتخلصوا بذلك من بنى ذى النون وقد توفى بن ذى النون سنة ٢٩٥هـ

(٩٠٧م) وتوزعت السلطة بين ابنائه الثلاثة: يحيى والفتح والمطرف.

محمد بن ادريس الرباحي المعروف بابن اردنبلس^(١) بقلعة رباح وأحوازها، فسير اليهما الامير عبد الرحمن بن محمد (الناصر لدين الله) (٢٠٠ - ٣٥٠ هـ/٩١٢م - ٩٦١) جيشا بقيادة الوزير القائد عباس بن عبد العزيز القرشي حيث دارت بينهما معارك شديدة هزم فيها الفتح وقتل الكثير من رجاله وفر الى معاقله، بينما تمكن عبيد الله بن قهر عامل الامير عبد الرحمن بن محمد على قلعة رباح من قتل ابن اردنبلس، وبعث برأسه الى مدينة قرطبة فرفعت فوق باب السدة^(٢) وذلك في العاشر من ربيع

==== راجع: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٤٦٤، ٤٦٥، ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٣٤١، ٣٤٢، تحقيق ملشور أنطونية، ص ١٧، ١٨.

(١) هو محمد بن ادريس البكري الرباحي وقد عرف بابن اردنبلس كان يسكن قلعة رباح، فأخرجه الاهالي منها، وعندئذ لجأ الى حصن ملقون الواقع الى الشمال من قلعة رباح، وبدأ يشن الغارات عليهم منه، ثم تحالف مع الفتح بن موسى بن ذي النون.

راجع: ابن حيان، المقتبس. نشر ملشور أنطوني، ص ١٧. وعن حصن ملقون راجع الأدريسي، صفة المغرب، ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٢) يعتبر باب السدة الباب الرئيسي لقصر الخلافة بقرطبة. وكان يقع على مقربة من الرصيف ويعطوه السطح المشرف. ولعل شهرة هذا الباب راجعه الى كونه مخصصا لشنق أو صلب الخارجيين عن الطاعة وتعليق جثثهم عليه، فرفعت عليه رأس فضل بن سلمه المنتزى بحصن أشر الواقع على مقربة من قلعة رباح عام ٢٩٨ (٩١٠ - ٩١١م) ورأس محمد بن ادريس الرباحي المعروف بابن اردنبلس المشار اليه في المتن وهي اول رأس رفعت على باب السدة في عصر الامير عبد الرحمن بن محمد (الناصر لدين الله) كما صلب على باب السدة في جمادة الآخرة عام (٣٠٠ هـ / يناير ٩١٣م) محمد بن يوسف، الجياتي، وكان من أهل الفساد والقدح في الخلافة. وفي عام ٣١٣ هـ/٩٢٥م صلب على باب السدة أحد اصحاب الثائر الاتدلسي عمر بن حفصون وهو الرامي الاتدلسي المعروف بابي نصر، وفي عام ٣١٤ هـ/٩٢٧م صلب على باب السدة سليمان بن عمر بن حفصون، وفي عام ٣١٦ هـ/٩٢٨م علقت جثة عمر بن حفصون على باب السدة، وفي عام ٣٦٨ هـ/٩٢٩م صلب عبد الملك بن المنذر بن سعيد البلوطي على باب=

الآخر سنة ٢٠٠ هـ (يناير ٩١٢م) وتم تطهير قلعة رباح واحوازها من الثورة^(١).
ومن المرجح ان قلعة رباح قد عادت الى طاعة وولاء الحكومة المركزية فى
قرطبة وتولاها عمال لبنى أمية، فقد اشارت المصادر التاريخية الى عدد من هؤلاء
منهم: شبيب بن أحمد سنة ٢١٧هـ^(٢) (٩٢٩م) وعبد الله بن عبد المالك فى ربيع
الآخر سنة ٢١٨هـ (٩٣٠م)^(٣) ومحمد بن حمدون بن بسيل عام ٢٢١هـ (٩٣٣م)^(٤)
وعبد الملك بن عبد الله سنة ٢٢٢هـ (٩٣٥م)^(٥). واحمد بن محمد بن مبشر وعبد الله
بن محمد بن مبشر مضمومة لها طليطلة سنة ٢٢٥هـ (٩٤٧م)^(٦) وعبد الله بن درى

==== السدة، وفى رجب عام ٢٩٩هـ/مارس ١٠٠٩م صلب عبد الرحمن شنجول بن
المنصور محمد بن ابي عامر على باب السدة.
راجع: ابن حيان، المقتبس، نشر ملشور انطونيه، ص ٢٣ ، ١٣٧ ، المقتبس ج
٥ ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٢٠٢ ، ٤٤٤ ، ابن عذارى، البيان المغرب ج ٢ ، ص
١٤٧ ، ١٩٠ ، ١٩٣ .

Balbas : Bab Al sudda Y los zudas de la Espana

Oriental, Al Andalus; fasc 12, vol, Xvll, 1952, p. 165-175

(١) ابن حيان، المقتبس، نشر ملشور انطونيه، ص ٢٧٥. ابن حيان، المقتبس نشر
بدور شالميتا، ص ٥٣ ، ٥٤ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٢٧٥ ، مؤلف
مجهول: مدونة تاريخية من عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر، نشرها ليفى
بروفنسال وغريسه غومث تحت عنوان:

Una Cronica anonime de abd Al Rahman 111, Al NASIR,

Por Levi Provencal, Emilio Garcia Gomez,

madrid, Granada, 1950. p 32-33

(٢) ابن حيان ، المقتبس، نشر شالميتا، ص ٢٥٤ .

(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .

(٤) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(٥) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٣٥٥ .

(٦) ابن حيان ، المقتبس ، نشر شالميتا ، ص ٤١٧ .

سنة ٣٢٦ هـ (٩٤٨م) (١) وهشام بن جهور سنة ٣٢٨ هـ (٩٥٠م) (٢) وعيسى وسليمان
ابنى محمد بن عيسى مضمومة لها طليطلة سنة ٣٢٩ هـ (٩٥١م) (٣) والياس بن
سليمان سنة ٢٣٠ هـ (٩٥٢م) (٤).

لم تشر المصادر التاريخية الى قلعة رباح منذ أن انضوت تحت السيادة الاموية
الا فى أخرىات القرن الرابع الهجرى ابان الفتنة القرطبية عندما فر اليها سليمان بن
الحكم، (٥) وكذلك عندما غادر البربر قرطبة فى أعقاب تحريض الخليفة

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٤٢٩ .

(٢) ابن حيان ، نفسه ، ص ٤٦٢ .

(٣) ابن حيان ، نفسه ، ص ٤٧١ .

(٤) ابن حيان ، نفسه ، ص ٤٨٩ .

(٥) سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، وكان قد فر الى قلعة رباح
عقب وفاة الرشيد المروانى، فلما اضطر البربر الى الخروج عن قرطبة لسوء
معاملة الخليفة المهدي اتجهوا الى قلعة رباح ووقع اختيارهم على سليمان بن
الحكم كخليفة ولقبوه بالمستعين بالله، وعقب انتصار البربر على حشود الخليفة
المهدي بالقرب من جبل قنتيش فى (١٣ ربيع الاول ٤٠٠ هـ/ ١٥ نوفمبر ١٠٠٩م)
ودخلوا قرطبة، أعلن سليمان نفسه خليفة للمرة الاولى فى ١٦ ربيع الاول
٤٠٠ هـ/ ١٨ نوفمبر ١٠٠٩م، ولكن المهدي سرعان ما أسترد قرطبة للمرة الثانية
عقب هزيمة سليمان فى عقبة البقر فى شوال سنة ٤٠٠ هـ (مايو ١٠١٠م)، الا أن
سليمان وحشوده البربرية نجحوا فى دخول قرطبة فى ٢٦ شوال ٤٠٣ هـ
(٩/مايو ١٠١٣م) وأعلن سليمان خلافته للمرة الثانية وتلفت بالظاهر بحول الله،
الى أن دخل على بن حمود قرطبة فى ٢٢ من المحرم سنة ٤٠٧ هجرية (الاول
من يوليو ١٠١٦م) وأمر بقتل سليمان المستعين.

راجع: ابن بسام(ابو الحسن على الشنترينى) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة،
تحقيق احسان عباس، بيروت، ١٩٧٩م القسم الاول المجلد الاول، ص ٢٤ ،
٢٥ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٧٨-٨٠ ، ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٣ ، ص ٧٣ ،
٧٤ ، ٩٠ - ٩٣ ، ٩٥-١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤-١١٣ ، سالم،
تاريخ المسلمين، ص ٣٤٨-٣٥٥ ، عنان، دول الاسلام، ق ٢ ، ص ٥٨٣-٥٩٩ .

Arellano : Historia de Cordoba, ciudad
real; 1915 - 1919 p. 303 - 344.

المهدى^(١) على قتلهم، فغادروها وساروا الى قلعة رباح حيث التفوا حول سليمان بن الحكم وولوه على انفسهم وعقدوا له بها الخلافة وتسمى بالمستعين بالله.^(٢) وفي قلعة رباح ارسل الخليفة المهدي عباسا البرزالي^(٣) يحمل امانا للبربر ويطلب منهم العودة الى مدينة قرطبة فرفضوا قائلين: ليس الى رجوعنا من سبيل لأنه أن أمننا لم تؤمننا

(١) هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الذي ثار على عبد الرحمن بن محمد بن ابي عامر الملقب بشنجول في أول امارته وفي اثناء غيابه عن قرطبة في غزوته الوحيدة ضد اسبانيا النصرانية وذلك في جمادى الاولى سنة ٣٩٩هـ (فبراير ١٠٠٩م) معلنا نفسه خليفة للأندلس، على أنه لم يلبث قليلا حتى ثار عليه سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين، وقد انضم اليه البربر، والتقى المهدي والمستعين في معركة قنتيش التي انتصر فيها سليمان المستعين وقواته البربرية - كما سبق الاشارة - وهرب المهدي الى مدينة طليطلة، حيث جمع له قائده واضح الفتى العامري قوات جديدة، ثم التقى بسليمان المستعين مرة أخرى في عقبة البقر - كما سبق الاشارة، وانتصرت قوات البربر المناصرة لسليمان المستعين مرة ثانية، الا أن سليمان - وكان يظن الهزيمة قد لحقت به - لاذ بالفرار وهكذا دخل المهدي قرطبة واعلنت خلافته للمرة الثانية، غير ان دولته الثانية لم تطل اذا ان قائده واضحا غدر به، فدبر مؤامرة لاغتياله في الثامن من ذي الحجة سنة ٤٠٠هـ (الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٠١٠م).

راجع: ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٣، ص ٤٩-١٠٠، ابن الخطيب (لسان الدين ابو عبد الله محمد): اعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، القسم الثاني الخاص بالاندلس، تحقيق ليفي بروفنسال الرباط، ١٩٢٤م، ص ١٠٩-١١٦.

Levi Provencal, Histoire, Vol, 11, p. 298-315.

(٢) ابن عذاري. البيان المغرب، ج ٣، ص ٨٢.

(٣) بنو برزال - أو البرازلة - ينتسبون الى قبيلة زناتة البربرية وكانوا ينزلون بالمغرب في منطقة الزاب الاسفل حول مدينة المسيلة. وقد أعلنوا خضوعهم لفاطميين ودخلوا في طاعة علي بن حمدون المعروف بالاندلسي، ثم عبروا الى الاندلس بعد أن اشتدت وطأة صنهاجة على المغرب الاوسط، ورحب بهم الخليفة المستنصر وأحسن استقبالهم، وعتب وفاة الحكم المستنصر وقفوا موقف التأييد من المنصور محمد بن ابي عامر فأستعملهم المنصور في الولايات النبيهة ==

رعيته وأن أمنتنا رعيته لم يؤمننا جنده^(١) وفى عهد الخليفة القاسم بن حمود الادريسى^(٢) اقطع زهيرا الفتى العامرى قلعة رباح^(٣).

====والاعمال الجليبة فولى اقدم حاكما على قرمونة واعمالها وعقب سقوط الدولة العامرية تحول البرازلة بولاتهم الى الخليفة المهدي ثم ساندوا ايضا الخليفة سليمان المستعين - شأنهم فى ذلك شأن اليربر فى الاتدلس- وظل بنوبرزال يحكمون قرمونة الى ان سقطت دولتهم سنة ٤٥٩ هـ (١٠٦٦-١٠٦٧ م).
راجع: حمدى عبد المنعم محمد، دولة بنى برزال فى قرمونة، الطبعة الاولى، الاسكندرية، ١٩٩٠ م.

(١) ابن عذارى البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٤.

(٢) هو القاسم بن حمود بن ميمون بن حمود الادريسى الحسنى ولد فى سنة ٣٤٨ هـ (٩٦٠ م) وكان هو وأخوه على من جملة قواد سليمان بن الحكم المستعين حينما ولى الخلافة للمرة الاولى فى سنة ٤٠٠ هـ (١١٠٩ م) اذ كانا من امراء المغاربة الذين شايعوه، ثم قدم سليمان على بن حمود على سبته وولى القاسم على طنجة واصيلا، على أنه يبدو انه ظل بقرطبة، ثم انتقل منها الى اشبيلية بعد أن جاز أخوه على من سبته الى قرطبة، وقتل سليمان المستعين واستأثر بالخلافة، فلما قتل على بن حمود فى أول ذى القعدة سنة ٤٠٨ هـ (٢١ مارس سنة ١٠١٨ م) توجه الى قرطبة من اشبيلية وبويع فيها بالخلافة ثم ضعف أمره وثار عليه أبناء أخيه يحيى بن على القائم بسبته وادريس بمالقه، وجاز يحيى البحر، فلما رأى القاسم عجزه عن مقاومته فر الى اشبيلية فى الثاين والعشرين من ربيع الثانى سنة ٤١٢ هـ (١٥ أغسطس ١٠١٢ م) وأعلن يحيى نفسه خليفة بقرطبة ثم ضعف أمر يحيى فأضطر للفرار واستدعى أهل قرطبة القاسم مرة ثانية، فعاد الى قرطبة وولى الخلافة للمرة الثانية حتى ثار عليه القرطبيون مرة أخرى فهرب الى اشبيلية فى الحادى والعشرين من جمادى الثانية سنة ٤١٣ هـ (٩ سبتمبر سنة ١٠٢٣ م) فمنعه أهلها من دخولها بتكبير من القاضى ابن عباد، فاتصرف منها الى شريش وتوفى بها محبوسا عند ابن أخيه ادريس بن على سنة ٤٢٧ هـ (١٠٣٦ م).
راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٢، ص ١١٩-١٣٥، ابن الخطيب، اعمال الاعلام القسم الاتدلسى، ص ١٣٠-١٣٥، النويرى، نهاية الارب، ج ٢٢، ص ٢٣٣-٢٣٤.

Levi Provencal, Histoire, Vol 11, P. 323 - 333.

(٣) زهير الفتى العامرى ويكنى ابا القاسم من أهم الفتيان العامريين واشدهم بأسا، ==

قلعة رباح فى عصرى الطوائف والمرابطين:

خضعت قلعة رباح خلال عصر ملوك الطوائف
لبنى ذى النون اصحاب طليطلة^(١) ومن أبرز من تولوها

وكان من اخص الفتيان العامريين الذين تفرقوا عقب الفتنة، ثم ولاه القاسم بن حمود ولاية جيان وقلعة رباح محاولا بذلك ان يعقد السلم مع الفتيان العامريين وان يأمن خصومتهم وكيدهم، ثم ولى حكم المرية بعد وفاة صاحبها الفتى خيران سنة ٤١٩هـ (١٠٢٨م)، وامتد سلطانه شرقا حتى شاطبة وشمالا حتى بياسة وقرطبة. وكان يرتبط بعلاقات المودة مع جيرانه الاقربيين بنى حمود اصحاب مالقة وبنى زيرى اصحاب غرناطة، ولكن سرعان ماتحوت علاقته مع اصحاب غرناطة الى علاقات عدائية ونشبت بينهما معركة انتهت بهزيمة زهير ومقتله فى اواخر شهر شوال ٤٢٩هـ (١٠٣٨م).

راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٣، ص ١٦٨ - ١٧٢، ابن الخطيب اعمال الاعلام، ج ٢، ص ٢١٢، ٢١٣، الاحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص ٥٢٥، ٥٢٦، عنان، دول الطوائف، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٩م.

Prieto y Vives - Antonio -, Los Reyes de Taifas, estudio Historico Muslmanes Espanoles, en Elsiglo v de La Hegria, Madrid, 1926, P. 61 - 62.

(١) ظلت أسرة بنى ذى النون فى خدمة الدولة الاموية الى أيام المنصور محمد بن ابي عامر عندما ظهر عبد الرحمن بن مطرف بن اسماعيل بن ذى النون ودخل فى خدمة الدولة العامرية وعقب سقوط الدولة العامرية واندلاع الفتنة القرطبية أعلن بنو ذى النون دخولهم فى طاعة سليمان المستعين الذى منح اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن ذى النون ولاية اقليش ثم اصاب اليها كونكة ثم أخذ يفرض سلطانه على كورة شنتبرية، وفى نفس الوقت احتاج اهل طليطلة الى من يقوم بأمرهم فخطبوا اسماعيل ابن ذى النون، فأقبل بجنده ودخل طليطلة واستبد بأمره واعلن انفصاله عن قرطبة والجماعة، وحكم طليطلة من سنة ٤٢٧ - ٤٣٥هـ (١٠٣٦ - ١٠٤٤م) ثم خلفه ابنه ابو الحسن يحيى بن اسماعيل وتلقب بـ

حريز بن حكم بن عكاشة^(١) وقد ظلت قلعة رباح خاضعة لبني ذي النون الى أن

== بالمأمون وكان من أعظم ملوك الطوائف وأطولهم عهداً، إذ حكم ثلاثة وثلاثين عاماً (٤٣٥ - ٤٦٧ هـ / ١٠٣٦ - ١٠٧٥ م) وخلف المأمون حفيده يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر الذي ظل يحكم طليطلة وقلعة رباح الى أن سقطت طليطلة في أيدي القشتاليين سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م).

راجع: ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الاول، المجلد الاول، ص ١١٠، ١١١، ١١٣، ١٢٤، ١٢٧، والقسم الرابع المجلد الاول ص ٩٩ - ١٠٤، ١١٤، ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣٠٢، ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ق ٢، ص ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٤، ص ١٦١، ١٦٢، أشباخ (يوسف) تاريخ الاتدلس في عهد المرابطين والموحدين ترجمة أ. محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٥٨ م، ص ٤٩، ٥٠، ٥١.

Vives : Los Reyes de taifas, p, 53, 54.

(١) حريز بن حكم بن عكاشة كان والده حكم بن عكاشة من أصحاب الوزير ابي الحسن ابراهيم بن يحيى المعروف بابن السقاء وزير ابي الوليد بن جهور زعيم قرطبة، فلما قتل ابن السقاء قبض على حكم بن عكاشة وزج به السجن ولكنه فر من سجنه ولحق بالمأمون بن ذي النون صاحب طليطلة فولاه بعض الحصون القريبة من قرطبة، وكان المأمون يتحين الفرصة للاستيلاء على قرطبة، فوضع له حكم بن عكاشة خطة انتهت بنجاحه في دخول قرطبة وقتل أميرها يومئذ عبادا الملقب بسراج الدولة بن المعتمد محمد بن عباد، ودعا الناس الى بيعة المأمون بن ذي النون وبعث اليه برأس سراج الدولة، وكان المأمون يومئذ في بلنسية وذلك سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٥ م)، فقدم الى قرطبة ودخلها في موكب ضخم، ولكنه توفي بعد قليل وتولى حكم بن عكاشة من بعده حكم قرطبة نائبا عن يحيى القادر بن ذي النون حفيد المأمون، ولكن وفاة المأمون شجعت المعتمد بن عباد على الزحف الى قرطبة ودخلها بعد أن فر عنها حكم بن عكاشة، ولكن المعتمد بن عباد بعث في أثر ابن عكاشة سرية من الفرسان طارنته حتى ظفرت به وقتلته وجيء به فصلب مع كلب، بينما فر ولده حريز بن حكم الى طليطلة، فولاه القادر بن ذي النون حاكما على قلعة رباح وظل عليها حتى سقوطها في أيدي القشتاليين، وقد قتل حريز بن حكم سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م).

راجع: ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ٢، ص ١٧٦ - ١٧٩، عنان دول الطوائف، ص ١٠٣ - ١٠٤.

سقطت طليطلة في ايدي الفونسو السادس ملك قشتالة^(١) الذي لم يقنع بالاستيلاء على طليطلة ولكنه استولى ايضا على جميع الاراضي الواقعة على ضفتي نهر التاجا وعلى القلاع المجاورة ومنها قلعة رباح^(٢).

(١) الفونسو السادس ابن فرنندو الاول fernando 1 الابن الاكبر لسانشو العظيم Sancho El Mayor وكان فرناندو الاول قد قسم مملكته قبيل وفاته سنة ١٠٦٥م بين اولاده الثلاثة فخص ولده الكبير سانشو الثاني (شانجة) بمملكة قشتالة، وخص ولده الثاني الفونسو السادس (الفنش) بمملكة ليون، وخص أصغرهم غرسية بجليقية. أما ابنتاه دونيا اوراكا Urraca ودونيا البيرة Elvira فقد منحهما حق الاشراف على الاديرة في سائر مملكته، كما منح الاولى حصن سمورة Zamora والثانية حصن تورو Toro وقد أدى تفتيت المملكة الاسبانية الى قيام حرب أهلية بين هؤلاء الاخوة، ولقد استطاع الاخ الأكبر سانشو (شانجة) في بادىء الامر ان ينتصر على أخويه ويستولى على بلادهما ليون وجليقية سنة ١٠٧١م، بينما فر الفونسو السادس الى طليطلة حيث أكرمه ملكها المأمون بن ذي النون، وكذلك فر غرسية الى اشبيلية، ولكن سانشو تعرض للقتل سنة ١٠٧٢م واستدعى الفونسو السادس من طليطلة ونصب ملكا على قشتالة وليون وجليقية في نفس السنة (١٠٧٢م) ولا سيما بعد القبض على الاخ الثالث غرسية وزج في احدى القلاع سجيناً حتى مات سنة ١٠٩٠م.
راجع: عنان، دول الطوائف، ص ٣٧٥ - ٣٨٠.

Lafuente : Historia general de Espana
Madrid 1861 , Vol , 11, P. 382-383: 385-389-485-488.
Pidal : La' Espana del cid Madrid, 1947
P. 122-123-135-145-149-176-177

(٢) عن أحداث سقوط طليطلة في ايدي النصاري.
راجع: ابن بسام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الرابع، المجلد الاول، ص ١٢٧، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٣٨، ١٣٩، المقرئ، نصح الطبيب، ج ٢، ص ٨٤، ٨٥، سالم، المغرب الاسلامي، الطبعة الاولى الاسكندرية ١٩٦٦، ص ٧١٨، ٧١٩، عنان، دول الطوائف ١١٠ - ١١٥

Mirianda. Historia general de Espana, Madrid
1955 , p. 16 - 18 ; Dozy , Histoire.
Vol , 111 p. 121 - 122.

جاء سقوط طليطلة في يد الفونسو السادس ملك قشتالة نذيرا بما يترصد الإسلام في الأندلس من أخطار، وارتج الأندلس كله لهذه الحادثة رجة عنيفة، وشعر الأندلسيون أن أمر الأندلس الي ضياع، وقد كان من الضروري في تلك الظروف العسبية أن تتحد القوى الإسلامية في الأندلس لمواجهة هذا الخطر النصراني، فكان من الطبيعي الاستعانة بأقرب وأكبر قوة إسلامية مجاهدة وهي القوة المرابطية الفتيية التي تمكنت من الظهور حديثا في المغرب الأقصى فلبى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين نداء الجهاد، وعبر على رأس جيوشه المرابطية المجاهدة الي الأندلس سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) وأحرز انتصاره العظيم على جيوش النصارى بقيادة الفونسو السادس ملك قشتالة في معركة الزلاقة الشهيرة في الثاني عشر من شهر رجب سنة ٤٧٩هـ (الثالث والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٠٨٦م)^(١).

وقد كان لانتصار الزلاقة عدة نتائج كان من أبرزها أنه أسقط من قدر ملوك

(١) عن قيام دولة المرابطين في بلاد المغرب واستصراخ ملوك الطوائف في الأندلس بهم، والدور الإسلامي الذي قام به أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وعبوره الي الأندلس وانتصاره الرائع في معركة الزلاقة.

راجع: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٤١، ١٤٢ مؤلف مجهول الحال الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، عنى بنشره السيد البشير الفورتى، تونس: ١٣٢٩، ص ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ٢، ص ٩٩، ١٠٠، المراكشى (عبد الواحد بن على): المعجب في تلخيص اخبار المغرب، نشر الاستاذان محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، القاهرة ١٩٤٩م، ص ١٣١، ١٣٢، ابن ابي زرع (ابو الحسن على بن عبد الله الفاس): الاتيس المطرب بروض القرطاس، طبعة فاس، ١٣٠٥هـ ص ١٠٠، ١٠١ ابن الخطيب، اعمال الاعلام ق٢، ص ١٨٥، ٢٨٢، ٢٨٢، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج ٢، ص ١١٠، ١١١

Dozy, Histoire, Vol, 111, p. 124, 125, 127, 129.

Miranda: La invasion de lose Almoravides y la Batalla de Zalaca, Hesperis, 1953, Tome, XI . Paris, p. 26 - 28.

الطوائف فى نظر رعيّتهم، ومهد السبيل الى اسقاط دويلات الطوائف وسيطرة المرابطين على الاندلس. فى عام ٤٨٤هـ (١٠٩٠م) سير امير المسلمين المرابطين يوسف بن تاشفين اربعة جيوش الى الاندلس للقضاء على ملوك الطوائف منفردين منهم القائد بطنى بن اسماعيل الذى افتتح مدينة قرطبة يوم الاربعاء الثالث من شهر صفر سنة ٤٨٤هـ (السادس والعشرين من شهر مارس سنة ١٠٩١م) ثم بعث بطنى قائدا على رأس حملة من الف فارس الى قلعة رباح، فحاصرها واستولى عليها^(١).

أصبحت قلعة رباح منذ أن افتتحها المرابطون عام ٤٨٤هـ (١٠٩١م) محورا للصراع بين المسلمين والنصارى، فى عام ٥٢٢هـ (١١٢٨م) قام القشتاليون بغزوة واسعة النطاق فى بلاد الاندلس وتوغلوا حتى وصلوا على مقربة من قلعة رباح بهدف الإستيلاء عليها، فتصدى لهم تاشفين بن على ابن يوسف بن تاشفين^(٢) وتمكن من ردهم على اعقابهم. وفى شهر ربيع الأول عام ٥٢٦هـ (يناير ١١٣٢م) بلغ تاشفين بن على أن القشتاليين قد خرجوا من مدينة طليطلة فى حملة عسكرية صوب مدينة قرطبة فاستنفر تاشفين جيوشه وبادر بالسير نحو مدينة قرطبة، ثم نهض للقاء القشتاليين فى

(١) ابن ابي زرع ، روض القرطاس، ١٥٤ ، ١٥٥ ، عنان، دول الطوائف، ص ٣٤٨، ٣٤٩، اشباخ، تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ص ٩٥. كان امير المسلمين يوسف بن تاشفين وقيل ولده على بن يوسف يصف الاندلس بقوله انها تشبه عقابا مخالبه طليطلة وصدرة قلعة رباح، ورأسه جيان ومنقاره غرناطة وجناحه الايمن باسط الى المغرب وجناحه الايسر باسط الى الشرق. راجع: الحميرى، الروض المعطار، ص ٤٦٩، المقرئ، نفح الطيب ج ١ ص ١٩١، ١٩٢.

(٢) تاشفين بن على بن يوسف، تولى شؤون الاندلس نيابة عن ابيه امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وكانت للامير تاشفين بن على فى مدافعة النصارى فى الاندلس صولات وجولات وفق فيها كل التوفيق واحرز انتصارات رفعت مكانته فى نظر اهل الاندلس، وفى عام ٥٢٢هـ (١١٢٨م) صدرت اليه الاوامر بالعودة الى ==

قواته الخفيفة، وكان القشتاليون قد أكتسحوا حصن شنت اشتيبين Sanesteban (١)
الواقع بالقرب من مدينة جيان (٢) واستولوا عليه، كما اجتازوا

المغرب، ثم صدر مرسوم سنة ٥٢٢هـ (١١٢٩م) بتوليته ولاية عهد
المرابطين، ثم تولى امارة المسلمين سنة ٥٣٧هـ (١١٤٣م) عقب وفاة والده على
بن يوسف حيث تحمل عبء الحروب ضد الموحدين وعلى الرغم من ضروب
الشجاعة والاقدام التي انتصف بها في معاركه التي خاضها ضد الموحدين، إلا انه
خر صريعا في السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٣٩هـ (الثاني
والعشرين من فبراير سنة ١١٤٥م).

راجع: البيئق (ابو بكر بن علي الصنهاجي): اخبار المهدي بن تومرت وابتداء
دولة الموحدين، نشر ليفي بروفنسال، باريس ١٩٢٨، ص ٢٩٨، ٢٩٩ مؤلف
مجهول، الحلل الموشية، ص ١٠٠، ابن عذاري، البيان المغرب، الجزء الرابع
الخاص بعصر المرابطين، ص ٧٩، ٨٠، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ابن الخطيب،
الاحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ٩٧-١٠٠.

(١) ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ٤٥٠، ٤٥١، عنان عصر
المرابطين والموحدين في المغرب والاتلس، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ١٣٣.

(٢) جيان (Jean) مدينة اندلسية قديمة من بنيان الاول وهي تقع الى شرق قرطبة وتبعد
عنها بنحو مائة كيلومترا، والى شمال غرناطة وتبعد عنها بمثل هذه المسافة.
يصفها الادرسي بقوله: "ومدينة جيان كثيرة الخصب رخيصة الاسعار كثيرة
اللحوم والعسل ولها زائد على ثلاثة الاف قرية كلها يربي فيها دود الحرير وهي
مدينة كثيرة العيون الجارية تحت سورها ولها قسبة من امنع القصاب وأحصنها"
ويصف الحميري مسجدها بقوله. "وجامع جيان مشرف يصعد اليه على درج من
جميع نواحيه، وهو من خمس بلاطات على اعمدة رخام وله صحن كبير حوله
سقائف، وهو من بناء الامام عبد الرحمن بن الحكم على يد مسره عامل جيان".

راجع: الادرسي، صفة المغرب، ص ٢٠٢، ابن غالب فرحة الانفس، ص ٢٨٤،
الحميري، الروض المعطار ص ١٨٣ وانظر ايضا: مؤلف مجهول ذكر بلاد
الاتلس، ص ٤٦، محمد الفاسي، الاعلام الجغرافية الاندلسية مجلة البينة، السنة
الاولى، العدد الثالث، الرباط، ١٣٨٢هـ (يوليو ١٩٦٢م).

الوادي الاحمر^(١)، فبادر تاسفين بن على للقائهم وملاحقتهم واشتبك معهم في قتال عنيف انتهى بهزيمة القشتاليين، وأتى القتل عليهم، واستولى المسلمون على أمتهم وأسلحتهم، وسار تاشفين بن على بالاسرى والغنائم الى قلعة رباح القريبة من ميدان المعركة، فأصلح أحوالها وحصن أسوارها وترك الاسرى لدى أهلها ليفتدوا بهم من ارادوا من اسراهم^(٢). وفي عام ٥٣٦هـ (١١٤٢م) استولى المرابطون على قلعة مورة الحصينة فقام القشتاليون في العام التالي (٥٣٧هـ / ١١٤٣م) بقيادة مونيو الفونسيز حاكم قلعة مورة السابق بغزو قرطبة كرد فعل لتفريطه في الدفاع عن قلعة مورة، فانتسف المروج الخصبة الواقعة على ضفاف نهر الوادي الكبير في نواحي قرطبة، وتمكن من إيقاع الهزيمة بقوة من المرابطون يقودها واليا قرطبة واشبيلية لذين استشهدا في ساحة المعركة، واستشهد معهما عدة آلاف من المسلمين^(٣). وفي العام التالي (٥٣٨هـ / ١١٤٤م) قامت حملة قشتالية جديدة بقيادة كل من مارتن فارنانديث ومونيو الفونسيز لتحول دون قيام المسلمين بتحصين قلعة مورة، فخرج والي قلعة رباح في قواته - وتسميه المصادر النصرانية فرج - واشتبك مع القشتاليين في معركة هزم فيها القشتاليون وفر مارتن فرنانديث جريحا بينما سقط مونيو الفونسيز

(١) الوادي الاحمر هو المعروف اليوم باسم Cuadalimar نهر من نهيرات الوادي الكبير ينبع من جبال شقورة، وهذا النهر يتكون من نهيرات صغيرة arroyos تمتلئ بالماء بعد المطر وتصبح مخاضات.

Diccionario Geogra Fico Espanol, X, 420 - 421.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٤، ص ٨٥، ٨٦، ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج ١، ص ٤٥١، عنان المرابطون والموحدين ص ١٢٤، ١٣٥.

(٣) ابن القطان (ابو الحسن على بن محمد الكتامي): نظم الجمان في اخبار الزمان، نشر وتحقيق د. محمود مكي: الرباط ١٩٧٤م، ص ٢٤٤ عنان، المرجع السابق، ٥٠٧، اسباخ، تاريخ الأندلس، ص ١٨٣، ١٨٤.

صريعا وفصل رأسه وذراعه اليمنى ورجله اليمنى عن جسده، وارسلت الى قرطبة واشبيلية لكى تعرض على زوجى الوالين القتيلين عزاء لهما، ثم حملت بعد ذلك الى أمير المسلمين تاشفين بن على بن يوسف بمراكش، ثم ارسلت بقية جثة مونيو الفونسيز الى القشتاليين مقابل ارسالهم لرأس الوالين المسلمين^(١).

ظل الصراع بين المرابطين والقشتاليين محتدما حول قلعة رباح الى ان تمكن الفونسو السابع^(٢) ملك قشتالة من الاستيلاء عليها فى أواخر سنة ٥٤١هـ (١١٤٧م)،

(١) اشباخ، تاريخ الأندلس، ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، عنان عصر المرابطين والموحدين ص ٥٠٧.

Lafonte: historia general de Espana, p. 291 - 292.

(٢) الفونسو السابع هو الفونسو (ألفونس) بن رمند Alfonso raimundeز وأمه هى أراكه Urraca ابنة الفونسو السادس ملك قشتالة. وكانت أراكه قد تزوجت من كوند (كندسيينا) Condespina المسمى Gomes Gonzales وأنجبت ألفونس بن رمند Alfonso, Raimundes ثم مات هذا الكوند. وبعد موت الفونسو السادس ١١٠٩م سعى النبلاء حتى زوجوا أراكه هذه من الفونسو الأول ملك أراغون المعروف بالمحارب حتى تتحد أراغون وقشتالة، وقد تم الزواج فى سبتمبر ١١٠٩م، وأصبح الفونسو الأول بالفعل ملك أراغون وقشتالة فأضاع هذا الزواج حق الفونسو ريموندس ابن أراكه وولى عهدها الشرعى ووريث الفونسو السادس الشرعى فقام أنصاره يطالبون بحقه وتم الانفصال بين الزوجين سنة ١١١٤م، وتم الاتفاق على أن يكون الفونسو المحارب ملكا على أراغون وقشتالة وتكون أراكه ملكة على ليون وجليقية وذلك بعد حروب طويلة، فلما ماتت أراكه خلفها أبنها الفونسو ريموندس بأسم الفونسو السابع، وقد سماه أهل الأندلس بالسليطين لأنه ولى عرش قشتالة صغير السن.

راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، الجزء الخاص بعصر الموحدين ص ٦٥ ابن الخطيب اعمال الأعلام، ق ٢ ، ص ٢٢١، اشباخ، تاريخ الأندلس ص ٢٢١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ :

Dozy, Recherches sur L'histoire etlitterature de L'espagne pendant le Moyen age, Leiden 3 eme ed. ,p. 115-116

Aguado Bleye, Manual de la Historia de Espana, P. 617-619.

Miranda : Historia Politica del imperio Almohade, Tetuan 1957 p. 179, 183, 235.

فأحدث ثغرة خطيرة في خطوط الدفاع الأندلسية، يخرج منها لمهاجمة المسلمين في قلب الأندلس^(١).

قلعة رباح في عصر الموحدين:

سقطت دولة المرابطين على أيدي الموحدين سنة ٥٤١هـ (١١٤٧م)، وفرض الموحدون سيادتهم على الأندلس وورثوا عن المرابطين عبء الجهاد ضد القوى النصرانية في الأندلس، وقد تجدد الصراع الإسلامي النصراني حول قلعة رباح، إذ كانت القوات الموحدية تزحف على هذه القلعة من آن لآخر وترهقها بمهجماتها العنيفة، وكان الفونسو السابع ملك قشتالة قد عهد إلى فرسان الداوية^(٢) بالدفاع عنه، ولكنهم عندما أيقنوا بعجزهم عن الاحتفاظ بها إزاء تفوق القوات الموحدية، غادروها وردوها إلى الفونسو السابع ملك قشتالة، وكان يوجد وقتئذ في مدينة طليطلة رجل ورع هو ريموند رئيس دير فيترو ومعه راهب من أسرة نبيلة يدعى ديجو بلاسكيث وكان

(١) اشباخ، تاريخ الأندلس، ص ٢٢٢، عنان، عصر المرابطين، ص ٢٧١.

(٢) فرسان الداوية أو فرسان المعبد Templares تعتبر من أشهر جماعات الفرسان الدينية التي قامت في العصور الوسطى في بداية الحروب الصليبية. وقد أنشأت جماعة فرسان الداوية سنة ١١١٩م في بيت المقدس عقب سقوطها في يد الصليبيين وذلك لحماية الحاج إلى قبر المسيح عليه السلام، وأفراد ملك بيت المقدس جناحا في قصره ثم سلم إليهم المعبد المجاور له، ومنه استقوا اسمهم "فرسان المعبد" ونمت هذه الجماعة بسرعة واشتد ساعدها بمن انضم إليها من النصارى، ولعبت دورا هاما في حوادث الحروب الصليبية سواء في المشرق أو في الأندلس.

راجع: د. إبراهيم خميس سلامة "الداوية ودورهم في الحروب الصليبية" رسالة ماجستير، نوقشت بكلية آداب اسكندرية ١٩٨٠م.

فارسا ظهر فى ميدان الحرب وربى فى البلاط، فلما رأى هذان الرجلان جزع الملك الفونسو السابع لما يتوقعه من سقوط قلعة رباح فى يد الموحدين، اعتزما ان يتوليا الدفاع عنها، وطلبا من الملك أن يعهد بها اليهما، فأجابهما الملك لما كان يعلمه من ورع الراهب ريموند ورقيع مكانته لدى الناس، وأيد يوحنا مطران طليطلة مشروع الرجلين والقى عظات دينية وعد فيها بالغفران لكل من يتقدم للدفاع عن قلعة رباح، ولم يمضى سوى قليل حتى استطاع الراهب ريموند أن يجمع حوله فى قلعة رباح عشرين ألف مقاتل، وامده كثيرون ممن لم يشتركوا فى الدفاع عن قلعة رباح باشخاصهم بالخيال والدواب والسلاح والمؤن والمال، حتى فاضت القلعة بكل ما هو ضرورى للدفاع عنها، ولذا وجد الموحدون انه ليس من الحكمة أن يقدموا على مهاجمة قلعة رباح بعد تلك الاجراءات الى اتخذت للدفاع عنها^(١).

رأى الراهب ريموند ان يكون من هؤلاء المقاتلين الذين دافعوا عن قلعة رباح وكرسوا حياتهم للدفاع عن النصرانية ضد الاسلام جمعية اطلق عليها "جماعة فرسان قلعة رباح" وتألفت نواتها الاولى من رهبان ديرفيتور والذين بادروا بالرغم من سنهم وضعفهم الى اللحاق برئيسهم ريموند بقلعة رباح وهم يحملون معهم كل ما فى الدير من متاع ومؤن واقره وطبقت على هؤلاء الفرسان النظم الحربية وانتخب الراهب ريموند كأول استاذ للجماعة وقد صادق البابا اسكندر الثالث^(٢) على قيامها وتوالت

(١) اشباخ، تاريخ الاندلس، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، عنان، عصر المرابطين والموحدين ص ٥١٩.

(٢) توفى البابا اندريان الرابع فى عام ١١٥٩ فخلقه الكاردينال رولاند الذى لقب باسم اسكندر الثالث والذى ظل فى منصب البابوية قرابة اثنين وعشرين عاما (١١٥٩ - ١١٨١م) وحرص طولها على التمسك بمصالح البابوية وحقوقها، مما جعل النزاع بين البابوية والامبراطورية يتخذ جميع مظاهر العنف. وقد كان البابا ==

عليها الهبات الضخمة من الملوك والامراء والافراد من انحاء الغرب الاوربي(١).

ظلت قلعة رباح محورا للصراع بين الموحدين والقشتاليين فى شهر شعبان سنة ٥٦٨هـ (مارس ١١٩٣م) قام حاكم آبله الكونت خمينو (المعروف بالاحدب)(٢) بعدة غارات مخربة ضد اراضى المسلمين حتى وصل الى احواز مدينة قرطبة، فأمر الخليفة الموحدى ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ابن على (٥٥٨-٥٨٠ هـ/١١٦٣-١١٨٤م) جيوش الموحدين بمطاردة الجيوش القشتالية التى كانت قد وصلت الى مكان يسمى فحص كركوى(٣) فى طريقهم الى قلعة رباح، فأحاطت بهم الجيوش الموحدين وألحق بهم هزيمة كبيرة وقتلوا الكونت خمينو واحتزوا رأسه وقتلوا جميع من كان معه ولم ينج الا نحو مائتى فارس.(٤)

اسكندر الثالث وراء تحويل الصراع بين المسلمين والنصارى الى حروب صليبية تعتبر امتدادا للحروب الصليبية فى المشرق الاسلامى.
راجع: عاشور (د.سعيد عبد الفتاح): اوربا العصور الوسطى الجزء الاول، الطبعة السابعة، القاهرة ١٩٧٨م، ص٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٥٣٧، ٣٧٩.

(١) اشباح، تاريخ الاندلس، ص٢٦٨، عنان، عصر المرابطين والموحدين ص٥١٩، ٥٢٠.
Montero : Laorden de calatrava 1959 p. 8, 15, 16-18.

(٢) الكونت خمينو ويعرف احيانا بالقومس الاحدب و احيانا بأبى برذعه و احيانا شان منوش Sancho Jimeno ولقب بالاحدب اما انه كان كذلك أو من قبيل النيز باللقاب، ولقب بأبى برذعه لأن له - على ما قيل برذعه من الحرير منسوجه بالذهب مكلله بأصناف الجواهر.

- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٢٩٨، ابن أبى زرع، روض القرطاس ص ١٨٧، ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٥٠٠ - ٥٠١.

(٣) يقع حصن كركوى فى جنوب طليطلة وهو الذى يسمى الآن بـ Caracuel

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٥١٨-٥٢٢، ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٥، ص ١٢٤-١٢٦، عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص ٨٧-٨٨.

Miranda, Las Grandas Batallas de la Reconquista, Madrid 1956 P. 160 .

معركة الارك واسترداد قلعة رباح

فى اوائل عام ٥٩١ هـ (١١٩٥م) خرج الخليفة ابو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ/١١٨٤-١١٩٩م) للجهاد ضد القوى النصرانية، فعبر مضيق جبل طارق ووصل الى مدينة اشبيلية ومنها الى مدينة قرطبة فوصلها يوم الجمعة التاسع عشر من شهر رجب سنة ٥٩١ هـ (الثلاثين من شهر يونيو سنة ١١٩٥م) ثم خرج من قرطبة يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رجب (الرابع من شهر يوليو ١١٩٥م) متجها صوب قلعة رباح فأرسل فرقة من الجند لاستطلاع أحوال قلعة رباح، فخرج إليهم بعض فرساتها فأوقع الموحدون بهم هزيمة مريرة وتركوها على حد قول ابن عذارى ولائم للنسور والعقبان^(١).

كان الفونسو الثامن^(٢) ملك قشتالة قد علم بانباء عبور جيوش الموحدين السى

(١) راجع البيان المغرب، الجزء الخاص بعصر الموحدين، ص ٢١٨، ٢١٩.
(٢) توفى القيصر الفونسو ريمونديس فى اغسطس ١١٥٧م فقسمت مملكته بين ولديه، أختص ولده سانشو الثالث بعرش قشتالة واختص ولده الصغير فرناندو بمملكة ليون وجليقية واشتوريش مع حق السيادة على مملكة البرتغال. مما ادى الى نشوب الحرب بين الاخوين ملكى قشتالة وليون وتمكن سانشو من ان يرغم اخيه على الاعتراف بسيادته وان يؤدي له الجزية. وكان سانشو الثالث يطمح فى تكوين حلف من الممالك الاسبانية لمحاربة الموحدين، ولكن هذه الاحلام تحطمت بوفاة سانشو فى اواخر اغسطس ١١٥٨م، ولم يترك لورائه عرشة سوى طفل فى الثالثة من عمره هو الفونسو الملقب بالنبيلى وترك فى وصيته ان تقوم اسرة كاسترو الشهيرة بالوصاية عليه ولكن فرناندو الثالث ملك ليون سار الى قشتالة فى جيش ضخم كى يحمى ابن اخيه، واحتل قشتالة وأعلن انه يتولى الحكم والوصاية على ابن اخيه، واعترف بطاعته معظم الشعب القشتالى وذلك سنة ١١٩٥م، مما ادى الى حدوث صراع دموى عنيف بين اسرتى كاسترو ولارا

الاتدلس، فحشد حشودا ضخمة، وارسل الى جميع ملوك وامراء اوربا يطلب سرعة ارسال الامدادات اليه وظل فى مدينة طليطلة حتى وصلت الامدادات اليه فاخترق وادى أنه متجها صوب قلعة رباح ومنها الى حصن الارك (Alarcos) الذى كان قد ابتناه النصرارى على مقربة من قلعة رباح ليكون خط الدفاع الاول عن قلعة رباح ومدينة طليطلة. (١)

استمر الخليفة يعقوب المنصور فى سيره مخترقا قلعة رباح دون أن يستولى عليها حتى وصل الى المعسكر النصرانى عند حسن الارك، حيث دارت يوم الاربعاء التاسع من شعبان سنة ٥٩١ هـ (التاسع عشر من شهر يوليو ١١٩٥م) معركة الارك الشهيرة التى احرز المسلمون فيها انتصارا عظيما على الجيوش النصرانية ويصف ابن عذارى ما حدث للنصارى يوم الارك وصفا رائعا بقوله: "وأجلت الحرب عن حصيلة من القتلى كالزرع المحصود والصخر المنضود كابين على الوجوه لغير سجون ومستقلين على الجنوب دون هجود وكما يحشرون يوم النشور اذا بعثر ما فى القبور". (٢) وكان من أهم نتائج معركة الارك استيلاء الموحديين على قلعة رباح، اذ

==فانضم فرناندو الى اسره كاسترو، ولكن الامر انتهى بانتصار اسرة لارا التى تمكنت من اقتحام طليطلة ودعت جميع القشتاليين الى الالتفاف حول الملك الشرعى (الفونسو الثامن النبيل) وذلك سنة ١١٦٦م.

راجع : Dozy, Rech., p. 115-116; Huici Miranda, Historia, Politico 1, p. 240, 255, 363.

(١) يصف الحميرى الارك بقوله: "هو حصن منيع بمقربة من قلعة رباح أول حصون اذفونشى بالأندلس" ويسمى اليوم Santa Maria de Alarcos

راجع: الروض المعطار، ص ٢٧ وهامش (٣) من نفس الصفحة.

(١) البيان المغرب، الجزء الخاص بالموحديين، ص ٢١٩، ٢٢٠ وراجع ايضا ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٢٩، الحميرى، الروض المعطار، ص ٢٧

هاجمها الموحدون وانتزعوها بعد قتال عنيف من ايدي فرسان قلعة رباح وقتل اثناء القتال استاذ الجماعة نونيودي فونتيس، وكان استرداد المسلمين لها بعد أن ظلت في ايدي النصارى احدى وخمسون سنة وعشرة اشهر، وقد أمر الخليفة يعقوب المنصور بتطهير مسجدها الجامع الذي كان قد حول الى كنيسة، وادى شعائر الصلاة فيه، وقدم على قلعة رباح يوسف بن قادم (١).

معركة العقاب واستيلاء النصارى على قلعة رباح

توفى الخليفة يعقوب المنصور في الثاني والعشرين من ربيع الاول عام ٥٩٥ هـ (الثاني والعشرين من شهر يناير عام ١١٩٩م) وتولى الخلافة الموحدية ولده محمد الملقب بابي عبد الله الناصر لدين الله (٥٩٥ - ٦١٠ هـ / ١١٩٩ - ١٢١٣م) في نفس الوقت الذي أخذ الفونسو الثامن (النبييل) ملك قشتالة يتأهب لمحاربة المسلمين، فبدأ بتحسين قلعة مورة الواقعة على الحدود الاسلامية القشتالية تحصينا قويا سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٩م) ثم سار في جيش من القشتاليين وفرسان قلعة رباح (٢) الى اراضى

== اشباخ، تاريخ الأندلس، ص ٣٢٣ - ٣٢٧، عنان، عصر المرابطين والموحدين ص ٢٠٠ - ٢١٤.

Miranda : Las Grandas Batallas Ip. 137 - 169

(١) ابن ابي زرع روض القرطاس، ص ٢٢٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٧؛ اشباخ، تاريخ الاندلس، ص ٣٢٦، ٣٢٧، عنان، عصر المرابطين والموحدين ص ٢١٤؛

Miranda : Las Grandas Batallas, P. 171 - 172.

(٢) كان فرسان قلعة رباح قد احتشدوا في قلعة شليطرة الواقعة على مقربة من قلعة رباح، وكانوا قد لجأوا اليها منذ ان انتزع الخليفة يعقوب المنصور قلعة رباح من ايديهم عقب معركة الارك، وكانت قلعة شليطرة المنبوعة فضلا عن مضايقتها لقلعة رباح باستمرار يتخذها النصارى قاعدة لغزواتهم المخربة داخل اراضى ==

المسلمين، فانتسفت الحقول ونهب القرى وقتل السكان وسبى منهم جموعا كبيرة ثم عاد الى طليطلة، فالتقى مع ملكى نافار وأراجون ووثق معهما عهود الصلح وحصل منهما على وعد بتأييده لمواجهة المسلمين، واعتزم محو وصمة هزيمة الارك باحراز نصر كبير على جيوش الموحدين فى الاندلس، ولذا غزا فى عام ٦٠٧ هـ (١٢١٠م) اراضى الاندلس ووصل الى احواز مدينة مرسية^(١). ثم عاد الى طليطلة متقلا بالغنائم.^(٢)

أعلن الخليفة محمد الناصر لدين الله الجهاد، وحشد حشودا ضخمة ثم عبر على رأس هذه الحشود الى الاندلس فى الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ٦٠٧ هـ

==== المسلمين، ومن ثم فقد آل الناصر على نفسه أن يفتح غزاته بالاستيلاء على قلعة شلبطرة الحصينة.

راجع: ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٢٢٦.

(١) مرسية Murcia مدينة فى جنوب شرق الاندلس، تبعد عن البحر بنحو ٦٤ كم ومينائها عليه تسمى قرطاجنة Cartagena واسم مرسية القديم هو تدمير نسبة الى تيودومير حاكم هذه المنطقة ايام الفتح العربى لاسبانيا وهو الذى عقد معاهدة مع عبد العزيز بن موسى بن نصير احتفظ فيها بشيء من الاستقلال بهذه المنطقة الشرقية. وفى عهد عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) تحولت هذه المنطقة الى كورة عادية قاعدتها اوربولة Orihuela وفى عام ٢١٦ هـ (٨٢١م) اختطت مدينة مرسية ايام الامير عبد الرحمن الاوسط على يد جابر مالك بن لبيد عامل تدمير يومئذ ولم تثبت مرسية ان صارت قاعدة لكورة تدمير ثم سميث الكورة كلها باسمها. وبعد سقوط الخلافة الاموية بقرطبة استقل بحكم مرسية وكورتها المولىان العامريان الصقليبان خيران وزهير ثم ضمت الكورة الى بلنسية ثم انفصلت عنها بعد ذلك على ايام المرابطين. وفى اواخر ايام الموحدين استقل بها محمد بن يوسف بن هود الملقب بالمتوكل واصبحت تسمى باسم مملكة مرسية.

واخيرا سقطت فى يد ملك اراجون خايمى الاول سنة ٦٦٤ هـ (١٢٦٦م). العذارى، ترصيع الاخبار، ص ١٠؛ ابن الابار، الحلة السيرة، ج ١ ص ٦٣، ج ٢، ص ٣١٦؛ الحميرى، الروض المعطار، ص ١٨١-١٨٣.

(٢) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٢٣٦، ٢٣٧ اشباخ، تاريخ الاندلس، ص ٣٥٤ - ٣٥٦، عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

(اوائل مايو ١٢١١م)، فنزل على الساحل الجنوبي للأندلس ثم اتجه صوب مدينة اشبيلية حيث استراح قليلا، ثم خرج من اشبيلية فى اوائل عام ٦٠٨ هـ (يوليو ١٢١١م) الى حصن شلبطرة الجبلى الحصين، ولبت الجيش الموحدى أمام هذا الحصن ثمانية أسابيع وهو ممتنع عليه، حتى اضطرت الحامية النصرانية المدافعة عنه الى التسليم وذلك فى اوائل ربيع الاول سنة ٦٠٨ هـ (اغسطس سنة ١٢١١م).^(١)

ارسل الفونسو الثامن (النبيل) الى البابا انوسنت الثالث^(٢) وسائر ملوك وامراء اوربا يدعوهم للاشتراك فى الحرب الصليبية ضد المسلمين فقد دعا الفونسو الثامن الى عقد مؤتمر فى مدينة طليطلة شهده بعض ملوك وامراء اوربا للدعوة الى اعلان الحرب المقدسة ضد المسلمين، فاجتمعت فى مدينة طليطلة حشود ضخمة من جميع

(١) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٢٧، الحميرى، الروض المعطار، ص ٣٤٤، اشباخ، تاريخ الأندلس، ص ٣٥٧، ٣٥٨، عنان، عصر المرابطين والموحدين ص ٢٩١، ٢٩٢.

(٢) تولى انوسنت الثالث الكرسي البابوى سنة ١١٩٨م، وقد امتاز بشخصية قوية مكنته من تحقيق كما كانت تطمح فيه البابوية من سمو. وقد شبه انوسنت الثالث البابوية بالشمس والامبراطورية بالقمر الذى يستمد ضوئه من الشمس، ولذا نادى بسيادة البابوية على الامبراطورية وعلى ايامه استولى الصليبيون على القسطنطينية سنة ١٢٠٤م، كما وضع مشروع الحملة الصليبية الخامسة على مصر كما بلغ نفوذ البابوية الروحية والفكرى والدينى ذروته فى عهد انوسنت الثالث فقد استطاع ان يلعب دوره بمهاره فى السياسة العالمية لغرب اوربا وان يفرض كلمته على اعظم حكام الغرب - بل الشرق - المسيحيين، كما كان صاحب الدور الكبير فى اثاره الحماسة الصليبية فى اسبانيا، وتشجيع جماعات عديدة من انحاء غرب اوربا لعبور جبال البرانس والمشاركة فى الحرب المقدسة ضد المسلمين.

راجع: سعيد عاشور، اوربا العصور الوسطى، ج ١، ص ٣٧٩، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٩٤، ٥٣٧، ٥٤٩.

انحاء اوربا، وليس أدل على الامة التي كان يعلقها الغرب يومئذ على هذه الحملة الصليبية ضد مسلمى الاندلس من اشتراك تلك الحشود الضخمة، وكون الالاف منهم كانوا يتقلدون الصليب بل ان البابا انوسنت الثالث امر بالصوم ثلاثة ايام والاكتفاء بالخبز والماء التماسا لانتصار الجيوش الصليبية، بل واقامت الصلوات العامة، وعمد رجال الدين والرهبان والراهبات الى ارتداء السواد والسير حفاة، كما القى البابا انوسنت الثالث بنفسه موعظه صليبية طلب فيها الى النصارى أن يضرعوا الى الله التماسا لتصر النصارى^(١).

سارت الجيوش الصليبية صوب اراضى المسلمين، فوصلت طلائعهم فى الحادى والعشرين من المحرم سنة ٦٠٩ هـ (الرابع والعشرين من يونيو سنة ١٢١٢م) الى حصن مجلون فاستولوا عليه بعد أن قتلوا جميع افراد الحامية الاسلامية المدافعة عنه، ويبدو أن الجيوش الصليبية أخذت تعاني من نقص المؤن فضلا عن ارتفاع درجة الحرارة، ففكر الكثير منهم فى العودة الى بلادهم، ولكن وصول الفونسو الثامن (النبيل) ملك قشتالة الى قلعة مجلون فى اليوم التالى للاستيلاء عليها، فهدأ من روعهم بتوزيع المؤن الوفيرة عليهم واستطاع ان يقنعهم بالمسير صوب قلعة رباح.^(٢)

لقيت القوات الصليبية فى عبور نهر وادى أنه الذى يقع عليه قلعة رباح صعابا فادحة، اذ كان المسلمون قد احاطوها من ثلاثة جوانب بسلسلة حصينة من الخوازيق الحديدية، كما كانت القلعة مجهزة بالابراج العالية والاسوار المنيعة، فتكبدت القوات الصليبية افدح الخسائر خلال هذا الهجوم الصليبي، وقبل ان يعاود الصليبيون الهجوم

(١) اشباخ، تاريخ الاندلس، ص ٣٦٠ ، ٣٦١.

(٢) اشباخ، تاريخ الاندلس، ص ٣٦١.

مرة اخرى عقدوا مجلس حرب للبحث فيما اذا كان من الافضل ان تقتصر الجيوش
لصليبية على تطويق القلعة دون محاولة افتتاحها الا بعد خوض المعركة الحاسمة مع
الجيوش الاسلامية، ولكن غلب الرأى بوجوب مهاجمة قلعة رباح، اذا كان من
المعروف انها تحتوى اموالا طائلة وكميات كبيرة من المؤن والعتاد. (١)

كان ابو الحجاج يوسف بن قادس على رأس المدافعين عن قلعة رباح فى سبعين
فارسا من انحاء المسلمين، فلما شددت القوات الصليبية حصارها لقلعة رباح، صمد
يوسف بن قادس، وكان يرسل فى كل يوم كتابا الى امير المؤمنين محمد الناصر لدين
الله يخبره بسوء احوال المدافعين عن القلعة ويستمهده ليوصل صموده ضد الصليبيين،
فكانت كتب ابن قادس اذا وصلت الى المعسكر الاسلامى منعها الوزير ابن جامع (٢)

(١) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٣٧، اشباخ، المرجع السابق، ص ٣٦١ ،
٣٦٢، عنان، عصر المرابطين، ص ٢٩٦.

(٢) بنو جامع أسرة خدمت الموحدين، واصلهم القديم من مدينة طليطلة، واول ما
نسمع به منهم ابراهيم بن جامع، فقد نشأ بضیعة تسمى روطة Rota بساحل مدينة
شريس على المحيط الاطلسى ثم انتقل ابراهيم هذا الى بلاد المغرب فتعرف
بمحمد بن تومرت (مهدى الموحدين) فكان من اصحابه، وظل فى خدمة محمد بن
تومرت ثم عبد المؤمن بن على حتى كان يعيش فى قصر عبد المؤمن وفيه ولد
له ابنه ادريس الذى استوزره ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن. وكان لادريس
هذا أخ يسمى عبد الله بن ابراهيم كان يتولى مدينة سبتة وجهاتها وقيادة الاسطول
وفى سنة ٥٧٣ هـ (١١٧٦م) غضب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على ادريس
واولاده ونفاهم الى مدينة ماردة الى ان صفع الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة
٥٨٠ هـ (١١٨٣م). وقد انجب عبد الله ابن ابراهيم عددا من الاولاد كان ابراهيم
ابو سعيد عثمان الذى تولى الوزارة للخليفة الموحدى محمد الناصر ثم لايته ابنى
يعقوب يوسف الذى تلقب بالمستصر بالله الى ان عزل سنة ٦١٥ هـ (١٢٢٨م)
وقتل سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٣م).

ولا يطلع عليها الخليفة محمد الناصر فلما ينس ابن قادس من شدة الحصار ونفذت المؤن والعتاد وخشى ان يقتحم الصليبيون القلعة ويستولون عليها عنوة، ارسل سرا وتحت جنح الظلام الى الفونسو الثامن ملك قشتالة يعرض عليه تسليم القلعة مقابل منح الامان للحامية الاسلامية والسماح لها بالانسحاب بسلاحها. وكان الفونسو الثامن يميل الى هذا الحل السلمى كى يستولى على قلعة رباح دون اراقه دماء، ولكن حلفاءه من الارجونيين والمحاربين الوافدين رفضوا هذا العرض السلمى، ولكنهم اضطروا الى قبول هذا العرض السلمى عندما ابدى المسلمون عزمهم على الصمود والمقاومة، وقد تم الاتفاق على انسحاب الحامية الاسلامية دون سلاح، فدخلها النصرارى وسلمت الى جمعية فرسان قلعة رباح (١).

سار ابو الحجاج يوسف بن قادس بحامية قلعة رباح وبصحبته صهره الى الخليفة محمد الناصر لدين الله، وطلب يوسف بن قادس من صهره الرجوع قائلاً: "ارجع فاتى والله مقتولا لا محالة، ولا أعيش بعدها ابدا، لكنى بعت نفسى من الله تعالى بسلامة من كان فى الحصن من المسلمين" فأبى صهره الرجوع، فلما وصلا الى معسكر الخليفة محمد الناصر لدين الله، أقبل عليهما قواد الاتدلس مرحبين ومهنتين ولكن الوزير ابو سعيد عثمان بن جامع أمر بسرعة القبض عليهما واغرى الخليفة محمد

== عن أسرة بنى جامع راجع: حمدى عبد المنعم محمد حسين، أسرة بنى جامع ودورها فى عصر الموحدين فى المغرب والاندلس، مجلة كلية الاداب جامعة الاسكندرية، العدد (٤١) سنة ١٩٩٢م.

(١) ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٣٧، المراكشى، المعجب، ص ٢٨٥، ابن عذارى، البيان المغرب، الجزء الخاص بعصر الموحدين، ص ٢٣٥، الحميرى الروض المعطار، ص ٤١٦، اشباخ، تاريخ الاتدلس، ص ٣٦٢، ٣٦٣ عنان عصر المرابطين والموحدين، ص ٢٩٦-٢٩٧؛

Miranda : Las grandas Batallas , P. 242 - 245.

الناصر بهما حتى أمر بقتلها، فقتلا في الحين دون سماع دفاعهما مما ادى الى انتشار السخط بين قواد الاتدلس، فلما علم الوزير ابو سعيد عثمان بن جامع بذلك استدعى هؤلاء القواد وطلب منهم اعتزال الجيش الموحدى وقال لهم قول الله تعالى: "لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلائكم" كما أن الخليفة محمد الناصر لدين عندما علم بسقوط قلعة رباح وهي امنع ثغور المسلمين في مواجهة النصارى، شق عليه ذلك حتى امتنع عن الطعام والشراب مما ادى الى اصابته بالمرض. (١)

كما كان لسقوط قلعة رباح في ايدى الصليبيين تأثيره البالغ على المعسكر النصراني، وذلك ان المحاربين الوافدين غضبوا لخروج الحامية الاسلامية دون اراقه دماء، وحقدوا على الفونسو الثامن (النبيل) ملك قشتالة لأنه حرّمهم من الغنائم ولاسيما أنه عندما دخل قلعة رباح وجد كميات كبيرة من المؤن فوزعها بالتساوى على جميع المحاربين الصليبيين وقد زعموا أن الفونسو الثامن استأثر لنفسه بجميع التحف والنفائس التي عثر عليها بقلعة رباح، فأعلنوا رغبتهم في العودة الى بلادهم متعللين بارتفاع درجة الحرارة في اسبانيا وبأنهم اوفوا بعهدهم في قتال المسلمين بما خاضوه من معارك أمام اسوار ملجون وقلعة رباح وقد ايدهم في ذلك اعظم احبارهم مطران بوردو، فتركوا المعسكر الصليبي عائدين الى بلادهم ولم يبق منهم سوى ارنولد أسقف اربونة، والكونت تيوبولد بلاسكون وهو اسباني المولد، وكانا قد أتيا الى اسبانيا على رأس مائة وخمسين فارسا وغادر الباقون وهم زهاء خمسين ألف مقاتل غاضبين، وقد خشى النصارى عواقب اعتدائهم ونهبهم فأغلقوا في وجههم جميع المدن الاسبانية. (٢)

(١) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨.

(٢) المراكشي، المعجب، ص ٢٨٦، الحميري، نفسه، ص ٤١٦، أشباخ، نفسه ص ٣٦٣ ، ٣٦٤، عنان، نفسه، ص ٢٩٧.

وعلى أثر سقوط قلعة رباح غادر الخليفة محمد الناصر على رأس جيشه مدينة جيان وسار الى الضفة اليمنى لنهر الوادى الكبير نحو مدينة بياسة بينما احتلت سرديات من خيرة جنده ممرات جبال الشارات (سييرامورينا) ومنها ممر لوسا الوعر حيث نزلت الجيوش الموحدية وقد دارت معركة من أهم معارك الصراع بين المسلمين والصليبيين تسمى فى المصادر العربية باسم معركة العقاب^(١) بينما تسمى فى المصادر النصرانية باسم معركة نافاس دى تولوسا Navas de tolose وذلك يوم الاثنين الخامس عشر من شهر صفر سنة ٦٠٩ هـ (السادس عشر من شهر يوليو ١٢١٢م) انتهت بهزيمة مريرة للمسلمين^(٢). وقد اجمع المؤرخون على أن سقوط قلعة رباح فى ايدى النصارى كان من أهم أسباب نكبة العقاب لأن قواد الاندلس الذين غضبوا لما حدث ليوسف بن قانس وموقف الوزير ابى سعيد عثمان بن جامع وتوبيخه لهم قد تخاذلوا خوفا من أن يحدث لهم ما حدث لابن قانس^(٣) كما كان لسقوط قلعة رباح

(١) العقاب قرية من قرى الاندلس تقع بين جيان وقلعة رباح وتعرف اليوم باسم لاس نافاس دى تولوسا، Las Navas de Tolosa وسمى هذا الموضع باسم حصن العقاب الذى اقامه الامويون فى نفس الموضع، وقيل سمي بهذا لوقوعه بين التلال والربى المانع.

راجع: الحميرى، الروض المعطار، ص ٤١٦.

(٢) عن معركة العقاب راجع:

ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٣٨ - ٢٤٠، الحميرى، الروض المعطار، ص ٤١٦، اشباح، تاريخ الاندلس، ٣٦٥، ٣٦٦، عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص ٢٩١ - ٣٢١، العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ١٧٣ - ١٧٧.

Miranda Historia politica. vol. 11, po 101 - 110 .

Las Grandas Batallas p. 265 - 278

(٣) أما اسباب هزيمة العقاب فمنها ما يلى:

١- تغير قلوب الموحدين وسخطهم على الورراء لتأخر صـرف رواتبهم وأعطياتهم، إذ كان المتبع منذ ايام الخليفة ابى يعقوب المنصور أن يمنح

أكبر الأثر في سيطرة النصارى على أهم الثغور الإسلامية المدافعة عن الأندلس، ولم يكتب لقلعة رباح أن تعود مرة أخرى للسيادة الإسلامية.

الخطار للجند كل أربعة أشهر دون تأخير، ولكن الخطار أصبح يتأخر في عهد الخليفة محمد الناصر، فنسب الجند ذلك إلى الوزراء، فخرجوا للغزو وهم كارهون وقد ضعفت روحهم المعنوية.

راجع: المراكشي، المعجب، ص ٣٢١، ٣٢٢، الحميري، الروض المعطار ص ١٧٤، ١٧٥، عنان، عصر الموحدين، ص ٣١٨، العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٧٤، ١٧٥.

٢- اختلال نظام الإمدادات نظراً لابتعاد الجيوش الموحدية عن قواعدها مسافات طويلة، فضلاً عن اختلال نظام الجيوش الموحدية الكبيرة العدد، وعدم اتساق تنظيماتها وتناثر العناصر المكونة منها، وعدم توحيد قيادتها بأيدي قادة يتسمون بالبراعة العسكرية.

راجع: ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٣، ص ٢٦٠، ٢٦١.

٣- حركة التطهير الشاملة التي أجراها الناصر قبيل معركة العقاب ضد الفساد وسوء الإدارة وأقصاء العمال الظلمة والمرتشين في جميع أنحاء دولته. وقد نكب في هذه الحركة عدد غير قليل من كبار عمال الدولة وشيوخها على يد صاحب الأشغال أبو محمد ابن أبي علي بن مثنى.

راجع: ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، العبادي، دراسات، ص ١٧٥.

٤- ارتفاع الروح المعنوية للجند النصراني واتحاد كلمتهم وتلقيهم البركة والغفران البابوي على يد الأساقفة ورجال الدين، فقد حشدت قوى النصرانية كلها ضد إسبانيا المسلمة واتخذت الحرب الصليبية شكلها الحقيقي.

راجع: أشباح تاريخ الأندلس، ص ٣٦١، ٣٦٢.

٥- استبداد الناصر بالامر، وعدم استرشاده بأراء أشيخ الموحدين في تسيير شؤون الدولة الكبرى، حتى أنه رفض نصيح الشيخ أبي محمد عبد الواحد حينما استشاره في شؤون الأندلس، بالألا يسير إلى غزوته الكبرى التي انتهت بنكبه في موقعة العقاب.

راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٥٧، السلاوي، الاستقصاء ج ٢، ص ١٩٧، ١٩٨، أشباح، تاريخ الأندلس ص ٣٥٠، العبادي، دراسات، ص ١٧٤.

مصادر ومراجع البحث

أولا : المصادر العربية

(١) ابن الأثير (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى)

ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م

-الحلة السبراء، تحقيق د. حسين مؤنس
للطبعة الاولى، فى جزئين، القاهرة ١٩٦٣م.

ابن الأثير (أبو الحسن على بن أحمد بن محمد الجزرى)

ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م

-الكامل فى التاريخ، طبعة القاهرة ١٣٥٧ هـ .

(٢) الادريسى (أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الشريف)

ت حوالى ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م

-صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس من كتاب نزهة
المشتاق فى اختراق الافاق، نشره وترجمه الى الفرنسية نوزى
ودى غوية لينن ١٨٦٦م.

(٤) ابن بسلام (أبو الحسن على الشنترينى)

ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٧ م

-الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت
١٩٧٩م.

(٥) البيذق

(ابو بكر بن الصنهاجى)

ت فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) أخبار المهدي
بن تومرت وابتداء دولة الموحدين تقديم وتحقيق عبد الحميد
حاجيات، الجزائر ١٩٧٤م.

(٦) ابن حزم

(ابو محمد على بن أحمد بن سعيد)

ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤م

-جمهرة انساب العرب، وتحقيق عبد السلام هارون،
دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م.

(٧) الحميرى

(ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجى)

ت بعد عام ٨٦٦ هـ (١٤٦١م)

الروض المعطار فى خبر الاقطار

تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٨٤م.

(٨) ابن حيان

(ابو مروان حيان بن خلف)

ت ٤٦٩ هـ (١٠٧٩م)

-المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس

نشرة الاب ملشور انطوانية، باريس ١٩٣٧م

المقتبس فى أخبار بلد الاندلس

نشر وتحقيق د. عبد الرحمن الحجى، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٥.

-المقتبس من انباء أهل الاندلس.

نشر وتحقيق د. محمود علي مكي، بيروت ١٩٧٣م

-المقتبس (الجزء الخامس)

نشر بدرو شالميتا وكورينطي ومحمود صبح، نشر المعهد الاسباني

العربي للثقافة بالاشتراك مع كلية الاداب بالرباط، مدريد ١٩٧٩م.

(٩) ابن الخطيب (لسان الدين عبد الله محمد)

ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤م.

-اعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام.

-الجزء الخاص بتاريخ اسبانيا، نشره ليفي بروفنسال باسم تاريخ

اسبانيا الاسلامية، الرباط ١٩٣٤م.

-اعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام.

-الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصقلية، نشره د. احمد مختار

العبادي وابراهيم الكتاني، الدار البيضاء ١٩٦٤م.

-الاحاطة في اخبار غرناطة.

نشر ا. محمد عبد الله عنان، في اربعة اجزاء القاهرة ١٩٧٣ ،

١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٧ م.

(١٠) ابن خلدون (ابوزيد عبد الرحمن بن محمد)

ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م

العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٩٦٨م.

(١١) ابن لبي زرع (ابو الحسن علي بن عبد الله القاسمي)

ت ٢٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م.

الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ
مدينة فاس، نسخة حجرية، طبعة تونس ١٣٢٩ هـ

(١٢) ابن سعيد المغربي (ابو الحسن علي بن موسى)

ت ٦٨٥ هـ / ١٣٢٥ م

: المغرب في حلى المغرب، تحقيق دشوقي ضيف في جزئين،
دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢ - ١٩٥٥ م.

(١٣) ابن صاحب الصلاة (عبد الملك)

كان حيا سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٨ م)

- كتاب المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله ائمة وجعلهم
للولثين.

السفر الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت ١٩٦٤ م

(١٤) ابن عذاري المراكشي (ابو العباس احمد بن محمد)

كان حيا ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م.

- البيان للمغرب في اخبار الاندلس والمغرب.
- الجزء الاول والثاني، نشر كولان وليفي بروقنسال، دار الثقافة،
بيروت، بدون تاريخ.

-الجزء الثالث، نشر ليفى بروفنسال، دار الثقافة بيروت، بدون تاريخ.
-الجزء الرابع الخاص بتاريخ المرابطين، نشر احسان عباس، بيروت
١٩٧٧م.

-الجزء الخامس، الخاص بعصر الموحدين وبداية عهد بنى مرين،
نشر وتحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت، ومحمد زنيير،
وعبد القادر زمامة، دار الثقافة الدار البيضاء، الطبعة الاولى
١٩٨٥م.

(١٥) العنزي (ابو العباس احمد بن عمر بن انس المعروف بأبن الدلاتي)

ت ١٠٨٥هـ/١٠٨٥م.

- نصوص من الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتوزيع الاثار
والبيستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك. تحقيق
د.عبد العزيز الاهواني، مطبوعات المعهد المصري للدراسات
الاسلامية بمدريد ١٩٦٥م.

- (١٦) ابن غالب (الحافظ محمد بن ايوب الاندلسي)

عاش في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)
:قطعة من كتاب فرحة الانفس في تاريخ الاندلس تحقيق د. لطفى عبد
البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية.
المجلد الاول الجزء الثاني، نوفمبر ١٩٥٥م.

(١٧) ابن القطان (ابو الحسن على بن محمد الكتامي)

ت ١٢٢٨هـ / ١٢٣١م

-نظم الجمان في أخبار الزمان نشر وتحقيق د. محمود على مكي،
الرباط ١٩٦٤م.

(١٨) ابن القوطية (ابو بكر محمد بن عمر القرطبي)

ت ٨٣٦٧هـ / ١٩٧٧م

-تاريخ افتتاح الاندلس. تحقيق عبد الله انيس الطباع، بيروت،
١٩٥٧م.

(١٩) ابن الكردبوس (ابو مروان عبد الملك التوزري)

-تاريخ الاندلس، وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في اخبار الخلفاء،
تحقيق د. احمد مختار العبادي، مدريد ١٩٧١م.

(٢٠) المراكشي (عبد الواحد بن علي)

ت ٨٦٦٩هـ / ١٢٧٠م

-المعجب في تلخيص أخبار المغرب.
نشر الاستاذان محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، القاهرة
١٩٤٩م.

(٢١) المقرئ (شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد التلمساني)

ت ١٠٤١هـ / ١٦٢١م.

-فتح الطيب من غصن الاتدلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن

الخطيب، تحقيق الاستاذ محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٩

(٢٢) مؤلف مجهول (عاش في القرن الرابع الهجري)

-اخبار مجموعة في فتح الاتدلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب

الواقعة بها بينهم، نشره دون لافونتي القنطرة، مدريد ١٨٦٧م.

(٢٣) مؤلف مجهول

-الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية.

-عنى بنشره السيد البشير الفورتى، تونس، ١٣٢٩هـ.

(٢٤) مؤلف مجهول

-مدونة تاريخية من عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر نشرها ليفى

بروفنسال وغرسية غومس تحت عنوان:-

Una cronica anonima de ABD- Al - Rahman 111, Al- Nasir, Por Ievi Provencal,

Emillio Garcia Gomez Madrid, Granada, 1950

(٢٥) النويرى (احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكرى)

ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م.

-نهاية الأرب في فنون الأدب - الجزء الثاني والعشرين نشر جاسبار
راميرو، غرناطة ١٩١٦ - ١٩١٧م.

ثانيا : المراجع العربية الحديثة:

(١) إشباح (يوسف)

-تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ترجمة الاستاذ محمد
عبد الله عنان، القاهرة ١٩٥٨م.

(٢) حسين (د. حمدى عبد المنعم محمد)

-دولة بنى يرزال فى قرمونة مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية
١٩٩٠م.

-اسرة بنى جامع ودورها فى عصر الموحدين فى المغرب والأندلس.

-مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية . العدد () ١٩

(٣) سالم (د. السيد عبد العزيز)

-تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، بيروت ١٩٦٢م.

-قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس، جزآن، بيروت ١٩٧١ -
١٩٧٢م.

(٤) عاشور (د. سعيد عبد الفتاح)

- اوربا العصور الوسطى، الجزء الاول.
- التاريخ السياسى، الطبعة السابعة ١٩٧٨م.

(٥) العبادى (د. احمد مختار)

- : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس،
- الطبعة الاولى، الاسكندرية ١٩٦٨م.

(٦) عنان (أ. محمد عبد الله)

- دولة الاسلام فى الاندلس، فى تسمين،
- الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٦٠م.
- دول الطوائف
- الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٩م.
- عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس الطبعة الاولى،
- القاهرة ١٩٦٤م.

(٧) مؤنس (د. حسين)

- فجر الاندلس، دراسة فى تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامى الى قيام
- الدولة الاموية، الطبعة الاولى للقاهرة ١٩٥٩م

Aguado Bleye:

Manual de la historia de Espana T, I, Madrid, 1947

Arellano - R.Ramirez de :-

Historia de cordoba, ciudad real, 1915 - 1919.

Dozy- R.

Histoire des Musulmans d'Espagne, 3, vols, Leyden 1932

Recherches Sur l'Histoire et Litteratur de l'Espagne pendant le Moyen age, leyden, 1886.

Lafuente-M.

Historia general de Espana, Barcelona, 1899.

Levi-Proencal

Histoire de l'Espagne Musulmanes 3 vols, Pais, 1950.

Miranda-Ambrasio Huici

la invasion de los Almoravides y la batalla de Zalaca, Hesperis, Annee, 1953, tome, XL, Paris.

Las Grandas batallas de la Rwconquista, Madrid, 1956.

Political del imperio Almohade-tetuan 1957 Historia.

Prieto y vives-Antonio:

Los reyes de taifas, Estudio Historico Musulmanes espanoles en el siglo v de la
hegia, Madrid, 1926.

Pidal-Ramon Menendez:

Espana del cid, Madrid, 1947.

